القسم في القرآن

إعداد

دكتور/ عبد الشافى أحمد على أحمد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر

المقدمة:

نزل القرآن الكريم للناس كافة، يهدف إلى هدايتهم للطريق المستقيم الذي ارتضاه الله لهم، وسلك فى سبيل مرماه أساليب عديدة، وطرق متنوعة، ووقف الناس إزاء ما جاء به القرآن الكريم مواقف متباينة ، فكان منهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد، وكان على القرآن أن يتعامل مع هذه الاتجاهات، ومعلوم أن الأساليب الخبرية تختلف باختلاف غرض المتكلم وحال المخاطب، فإذا كان المخاطب خالى الذهن، جاءه الخبر من المتكلم دون توكيد بقسم ولا بغيره، وإذا كان المتكلم يرى أن المخاطب يشك فى كلامه أكد له القول بنوع من أنواع التوكيد وأهمها القسم، وإذا كان المتكلم يرى أن المخاطب ينكر قوله كان التوكيد عندئذ أولى وألزم.

ومن هنا قسم علماء البلاغة أسلوب الخبر إلى ثلاثة أقسام:

أ) ابتدائى: ويُلْقى لخالى الذهن من غير توكيد.

ب) طلبى: ويُلْقى لمن داخله الشك مؤكدا بأداة من أدوات التوكيد.

ج) إنكارى: ويُلْقى لمن أنكر القول مؤكدا بأكثر من مؤكد [1].

ومعلوم أن الاستعداد النفسي عند الفرد يختلف في تقبله للحق وانقياده لنوره، فالنفس الصافية التي لم تدنس فطرتها بالرجس تستجيب للهدى، ويكفيها

---

[1] - دراسات فى علوم القرآن د / محمد بكر اسماعيل ص ٣١٧ ط دار المنار.

في الانصياع إليه اللمحة والإشارة، أما النفس التي غشيتها ظلمة الباطل فلا يهتز قلبها إلا بمطارق الزجر.

وفى هذا المقام يوضح لنا الإمام السكاكى أن فى مراعاة حال المخاطب من خلو الذهن أو الشك أو الإنكار تكمن البلاغة فيقول:" من المعلوم أن حكم العقل حال إطلاق اللسان هو أن يفرغ المتكلم في قالب الإفادة ما ينطق به تحاشياً عن وصمة اللاغية، فإذا ألقى الجملة الخبرية على من هو خالي الذهن عما يلقى إليه ليحضر طرفاها عنده وينتقش في ذهنه استناد أحدهما على الآخر ثبوتاً أو انتفاء كفى ذلك الانتقاش حكمة، ويتمكن لمصادفته إياه خالياً:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي خاليا فتمكنا

فتستغني الجملة عن مؤكدات الحكم وسمي هذا النوع من الخبر ابتدائياً.

وإذا ألقاها على طالب لها متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بَين بَين لينقذه عن ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقذ بإدخال "اللام" في الجملة أو "إن" كنحو "لزيد عارف" أو "إن زيدا عارف" وسمي هذا النوع من الخبر طلبياً.

وإذا ألقاها على حاكم فيها بخلافه ليرده على حكم نفسه استوجب حكمه ليرجح تأكيداً بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده كنحو "إني صادق" لمن ينكر صدقك إنكاراً و"إني لصادق" لمن يبالغ في إنكار صدقك و"والله إني لصادق" على هذا، ويسمي هذا النوع من الخبر إنكارياً.

وقد راعى القرآن الكريم درجات المخاطب وحالاته، لذا تنوع أسلوبه بين إلقاء الكلام دون تأكيد وبين تأكيده بأنواع مختلفة من أدوات التأكيد، ومن ذلك أسلوب القسم الذى استعمله القرآن الكريم لإزالة الشكوك، وإحباط الشبهات، وإقامة الحجة، وتوكيد الأخبار، لتطمئن نفس المخاطب إلى الخبر، لا سيما في الأمور العظيمة التي أقسم عليها.

ومع أن القسم أسلوب عربي معروف وقديم قدم اللغـــة ذاتهـــا، إلا أن استعمال القرآن الكريم له كان له أسلوبه الخاص والذي تميز به عن غيره.

تمهيـــد

أسلوب القسم في اللغة طريق من طرق توكيد الكلام، وإبـراز معانيـه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكـرين، أو إزالة شك الشاكين، والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيئ في النفس وتقويه، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وعلى أسـلوب كلامهـم، ومناحي خطابهم، فلم يفاجئهم بما ينكرونه، وكان من عادة العـرب أنهـم إذا قصدوا توكيد الأخبار وتقريرها، جاءوا بالقسم، وعلى هذا جاءت في القـرآن الكريم أقسام متنوعة، في مواضيع شتى، لتوكيد ما يحتاج إلى التوكيد.

والأقسام التي جاء بها القرآن الكريم على نوعين:

النوع الأول: ما ورد على سبيل الحكاية في ضمن ما قَصّه القرآن من قصص المخلوقين، كقولِه تعالى حكاية لقول إبراهيم عليه السلام لقومه:(وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)[٢]، وكقوله سبحانه مخبرا عما كان يقوله كفار مكة قبل بعثة النبى ﷺ (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَـئِنْ جَـاءَهُمْ نَـذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ)[٣]. ومنه ما حكاه القرآن الكريم أيضا على لسان أصحاب الجنة حيث أقسموا أن ينطلقوا إلى جنتهم مصبحين فقال تعالى:" إِنَّـا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ"[٤] وكذا ما حكاه القرآن على لسان أخوة يوسف لأبيهم:" قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ".[٥]

وهذا النوع كثير في القرآن الكريم ، إلا أن هذه الدراسة لن تتناول هذا النوع من أنواع القسم.

---

[٢] – سورة الأنبياء: آية / ٥٧.

[٣] – سورة فاطر: آية /٤٢.

[٤] – سورة القلم : آية / ١٧.

[٥] – سورة يوسف آية /٨٥.

النوع الثاني: ما أقسم الله تعالى به، وهذا على نوعين:

النوع الأول: القسَم المضمر، وهو القسَم المحذوف، **المدلول عليه بجوابه المقرون باللام** كقوله تعالى: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا)[٦] تقديره: والله لتبلون في أموالكم ولتسمعن، بدلالة الجواب المقرون باللام.

أو المدلول عليه بالمعنى والسياق،كقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا)[٧]، أي: والله ما من كافر إلا وارد النار، بدلالة المعنى والسياق، لأن هذه الآية جاءت بعد آيات مؤكدات بالقسم الملفوظ، وهو قوله تعالى: (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا)[٨] فدل القسَم الملفوظ على القسَم المضمر، وهذا النوع من القسم أيضا كثير في القرآن الكريم، وهو أيضا خارج عن نطاق هذا البحث.

النوع الثاني: القسم الظاهر، وهو الملفوظ، وهو ما سيكون عليه مدار هذا البحث.

وقد اشتمل هذا البحث على تمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة :

المبحث الأول بينت فيه: الأصل الاشتقاقي لألفاظ القسم.

والمبحث الثاني بينت فيه: أركان القسم.

وفي المبحث الثالث: فصلت القول في المقسم به المبدوء بأداة النفي.

وفي المبحث الرابع: وضحت أغراض القسم القرآني وأهدافه.

وجعلت المبحث الخامس: لبيان بلاغة القسم القرآني.

وفي الخاتمة: استعرضت أهم النتائج.

---

[٦] – سورة آل عمران: آية / ١٨٦.

[٧] – سورة مريم: آية/ ٧١.

[٨] – سورة مريم: الآيات: ٦٨، ٦٩، ٧٠.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في العرض لهذا الموضوع، والحمد لله في الأولى والآخرة.

١٩٢٢

المبحث الأول

الأصل الاشتقاقي لألفاظ القسم

مادة قسم (ق، س، م)[٩]: لها معنيان رئيسان هما:

أ – **القِسْم:** بسكون السين وجمعه أقسام بمعنى التجزئة والتفرقة، ومنه قسم الشيء يقسمه قسما، ويكون بمعنى: قدر ونظر، كقولك: هو يقسم أمره، أي: يقدره ويدبره، وينظر كيف يعمل فيه، قال لبيد:

فقولا له إن كان يقسم أمره ألما يعظك الدهر أمك هابل [١٠]

"وقسّمه" بالتضعيف: للتكثير، أي جزّأه، ومنه قوله تعالى: (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا).[١١]

وقاسم فلانٌ فلانا أي: أخذ كلٌ منهما قسمَه. واقتسم القومُ الشيءَ بينهم، أي: أخذ كل واحد منهم نصيبه منه. وفعله " قسَّم " بتشديد السين على وزن فعَّل ومصدره "تقسيما" على وزن "تفعيلا" إلى غير ذلك من المشتقات التي ذكرتها كتب اللغة[١٢].

ب: – **الحلف واليمين:**

وهو القَسَم بفتح القاف والسين وجمعه أيضا على أقسام، مثل: سبب وأسباب، وفعله لازم على وزن "أفعل " أى أقسم، ومصدره على وزن "إفعال " بكسر الهمز أى " إقسام "تقول فيما هو بمعنى اليمين:" أقسم يقسم إقساما "، ويستعمل منه الأفعال التالية:

١ – أقسم بالله إقساما أي: حلف بالله حلفا..

---

[٩] – انظر مادة (قسم) في لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط : للفيروزآبادي.

[١٠] – ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ١٣١. وقوله: أمك هابل: دعاء عليه كقوله: تكلتك أمك، وانظر لسان العرب لابن منظور: ج١٥ / ص ٢٠.

[١١] – الذاريات: آية / ٤.

[١٢] – القاموس المحيط ٤/ ٦٤.

٢- قاسمه: أقسم له أو شاركه في القسم، ومنه قوله تعالى: - (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) [١٣]

٣- اقتسم: يقال: اقتسموا: تحالفوا، ومنه قوله تعالى: (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) [١٤]، وهم الذين تقاسموا وتحالفوا على الكيد للرسول ﷺ، وقيل: هم الذين جعلوا القرآن عضين أى آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه الآخر.[١٥]

٤ - تقاسم: يقال: تقاسم القوم أي: تحالفوا، ومنه قوله تعالى (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) [١٦]، فهي بمعنى التحالف، أو طلب بعضهم القسم من بعض.

٥- استقسمه بالله: طلب منه أن يقسم به.

٦- القسامة: ومن معانيها: اليمين والجماعة يقسمون على حقهم ويأخذونه، يقول الراغب:(إن القسم بمعنى اليمين أصله من القسامة، وهي أيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا على رجل أنه قتل صاحبهم ومعهم دليل دون البينة، فيحلفون خمسين يمينا تقسم عليهم، ثم صار اسمل لكل حلف، فكأنه أي: القسم كان في الأصل تقسيم أيمان، ثم صار يستعمل في نفس الحلف والأيمان).[١٧]

والعلاقة بين هذين المعنيين الرئيسين للقسم وثيقة الصلة، قوية الرباط، فما جُعِل القسم إلا للتفريق بين الحق والباطل، وما التُجِئَ إليه إلا لتحديد الأنصباء، وبيان ما يخص كل فرد، والفصل بين الخصومات.[١٨]

والقَسم: بفتح القاف: قِسمة الزوج بيتوتته بالتسوية بين النساء.

---

[١٣] - الأعراف: آية /٢١.

[١٤] - سورة الحجر: آية /٩٠.

[١٥] - روح المعاني للألوسى ١٤/ ٨٠-٨٤.

[١٦] - النمل ٤٩ .

[١٧] - الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن/ ص ٦٧٠.

[١٨] - القاموس المحيط للفيروزآبادى٤ / ١٦٦، الكشف والبيان في علوم القرآن لسمير عبد العزيز شيلوة: ص ٢٨١ وما بعدها.

وقَسْمُ الشيء: ما يكون مندرجاً تحته وأخص منه، كالاسم فإنه أخص من الكلمة ومندرج تحتها.

والجزئيات المندرجة تحت الكلى، إما أن يكون تباينها بالذاتية أو بالعرضيات أو بهما، والأول يسمى أنواعاً، والثاني أصنافاً، والثالث أقساماً.

والقسمة: لغة: من الاقتسام وفي الشريعة: تمييز الحقوق وإفراز الأنصباء.

وقسيمُ الشيء: هو ما يكون مقابلاً للشيء ومندرجاً معه تحت شيء أخر، كالاسم، فإنه مقابل للفعل ومندرجان تحت شيء آخر، وهي الكلمة التي هي أهم منهما.[١٩]

معنى الحلف واليمين:

أورد هاتين الكلمتين علماءُ اللغة فى ثنايا الكلام عن القسم، وحتى تتم الفائدة نوضح المراد بهما فى لغة العرب.

٢- مادة (ح، ل، ف) [٢٠]:

تدور هذه المادة حول معنيين رئيسيين هما: القسم ، والعهد.

والحَلف والحِلف – بفتح الحاء وكسرها – لغتان في القسم. فالحِلف – بكسر الحاء –: العهد يكون بين القوم، وقد حالفه : أي عاهده، وتحالف القوم: تعاهدوا، ويكون بمعنى آخى وصَالَحَ، ومنه ما جاء من حديث أنس رضى الله عنه:(حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا)[٢١] أي: آخى بينهم.

---

[١٩] – التعريفات للجرجانى ٥٦/١.

[٢٠] – ابن منظور: لسان العرب، والفيروز آبادي: القاموس المحيط مادة: حلف .

[٢١] – مسند الإمام عبد الله بن الزبير الحميدي ٢/ ٥٠٧، حديث رقم ١٢٠٥، وانظر سنن أبى داوود باب الحلف ١٤٠/٨ برقم ٢٥٣٧ .

والحَلِف -بفتح الحاء-: اليمين قال تعالى: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ)[٢٢]، وقال الرسول ﷺ: (من حَلَف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر، وليأت الذي هو خير..).[٢٣]

وأصلها: أنهم كانوا إذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم، ولذلك قيل: أعطاه صفقة يمينه على هذا الأمر، ثم سموا الحلف يمينا على هذا المعنى.

وكثيرا ما استخدم القرآن الكريم هذه المادة فى الدلالة على القسم ومنه قوله تعالى:" يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ".[٢٤]

فمشتقات هذه المادة لا تكاد تخرج عن معنى القسم واليمين، أو ما يترتب عليه من محالفة ومعاهدة والتزام، فهي أصل في القسم، تفرعت عنه معان متصلة به.[٢٥]

٣- مادة (ي، م، ن)[٢٦]:

بزيادة ياء قبل الحرف الأخير: يمين على وزن فعيل، لها عدة معان، منها:يمين الإنسان، والقوة، والقدرة، والمنزلة، والدين، ومن معانيها: الحَلِف والقسَم، وهو المعنى المراد هنا.

وإنما سمى الحلف يمينا: لأن المتحالفين، والمتعاهدين، يضع كل منهما يمينه في يمين الآخر، فسمى الحلف يمينا مجازا، يقول الراغب:" واليمين فى

---

[٢٢] - سورة القلم: آية / ١٠.

[٢٣] - أخرجه الامام مسلم في صحيحه: ٢ / ٢٣، كتاب الأيمان، من حديث أبي هريرة برقم ٣١١٥.

[٢٤]- التوبة ٦٢.

[٢٥] - أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط لطي أبو القاسم عون ص ٣٦-٣٧.

[٢٦] - انظر مادة (يمن) في الصحاح، والقاموس المحيط، ولسان العرب، والتعريفات: للجرجاني، ص ٢٨.

الحلف مستعار من اليد اعتبارا بما يفعله المعاهد والمحالف مع غيره "[٢٧] قال تعالى: (ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ).[٢٨]

قال الرازى في مختار الصحاح: (واليمين: القسم، والجمع: أيمُن، وأيمان، وقيل: إنما سميت بذلك، لأنهم كانوا إذا تحالفوا، ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه). [٢٩]

ويؤكد هذا المعنى أيضا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي حيث قال: – (وأصل اليمين أنهم كانوا إذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم، ولذلك قيل: أعطاه صفقة يمينه على هذا الأمر، ثم سموا الحلف يمينا على هذا المعنى. وأنثوا اليمين على تأنيث اليد، فقالوا: حلفَ يمينا برة ويمينا فاجرة).[٣٠]

المعنى الاصطلاحى: مما سبق اتضح لنا تداخل معانى الألفاظ الثلاثة " القسم، اليمين، الحلف" ويمكننا أن نُعرّفَه بأنَّه ربطُ النفس بالإقدام على شيء أو الامتناع عنه بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادا على اعتقاد فى نفس الحالف.

والمعظم عند الحالف حقيقة يكون بالله أو بأحد صفاته، وأما المعظم اعتقادا فهو ما يتصور أن له مكانة فى نفس الحالف، ولا يجوز شرعا الحلف بغير الله تعالى لأنه ضرب من الشرك الذى قال عنه الرسول ﷺ:" من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك "[٣١] أى اتخذ نظيرا لله فى التقديس وستر حقيقة التقديس الأجلّ والأوفى والتى هى لذات الله وحده.[٣٢]

---

[٢٧] – المفردات للراغب ص ٥٥٣ .

[٢٨] – سورة المائدة: جزء من الآية / ٨٩.

[٢٩] – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح: ص ٧٤٥.

[٣٠] – أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي، أيمان العرب في الجاهلية ،ص ٣٤.

[٣١] – سنن الترمذى ٤/ ٩٤ كتاب النذور والأيمان عن عبد الله بن عمر .

[٣٢] – الأساس فى علوم القرآن ص ١٤٢ د/ عبد الحميد خشبة .

الفرق بين الحلف والقسم:

العديد من المعاجم اعتبرت أن (الحلف والقسم) لفظان مترادفان يؤديان معنى واحدا من غير فرق أو تمييز بينهما، وتفسر أحدهما بالآخر، والأمر يحتاج إلى قليل تدبر خاصة بعد أن أشار الإمام أبو هلال العسكرى فى فروقه حيث قال:" الفرق بين القسم والحلف أن القسم أبلغ من الحلف، لأنه معنى قولنا: أقسم بالله: أنه صار ذا قسم بالله، والقِسم: النصيب، والمراد أن الذى أُقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله.

والحلف من قولك: سيف حَليف، أى قاطع ماض.

فإذا قلت: حَلَف بالله فكأنك قلت: قطع المخاصمة بالله، فالأول أبلغ لأنه يتضمن معنى الآخر مع زيادة دفع الخصم، ففيه معنيان.

وقولنا: حلف يفيد معنى واحدا هو قطع المخاصمة فقط، وذلك أن من أحرز الشيء باستحقاق فى الظاهر فلا خصومة بينه وبين أحد فيه، وليس كل من دفع الخصومة فى الشيء فقد أحرزه ".[٣٣]

بالإضافة إلى ما سبق يمكننا أن نستخرج فروقا أخرى دقيقة وذلك حين نستقرئ استعمال الكلمتين، وأصل اشتقاقهما لنتعرف على الفرق بينهما، فنجد أن العرب يقولون: (حلفةٌ فاجر، وأحلوفةٌ كاذبةٌ) [٣٤]، ولم يرد مثل هذا مع القسم.

فالحلف يدور حول الاحتمال والشك، وبهذا يكون الحالف غالبا معرضا للحنث كثيرا، لأنه حلف على الظن، وليس عن يقين.

---

[٣٣] – الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ص ٤٢ .

[٣٤] – أساس البلاغة جارالله الزمخشري كتاب الشعب ص١٩٢.

وباستقراء استخدام القرآن الكريم لمادة (ح. ل. ف) نجده قد استعملها في ثلاثة عشر موضعا[٣٥]، كلها جاءت بغير استثناء في الحنث باليمين، وفي آيات مدنية، وخصوصا في سورة التوبة، عدا آية واحدة مكية، هي قوله تعالى في سورة القلم: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ)[٣٦]، ثم إن إسناد الفعل غالبا جاء في المنافقين، واليمين فيها كانت معقودة على خلاف الحقيقة والواقع في أغلب الآيات، وهم يعلمون ذلك، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[٣٧].

وعندما أسند الفعل إلى المؤمنين في قوله تعالى:- (ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ)[٣٨] كان ذلك لبيان كفارة الحلف عند الحنث.

فالحلف يدور في العربية على احتمال الحنث غالبا، لأنه مبني على الظن، وفي البيان القرآني خير دليل على ما نقول.

أما القسم: فيقول عنه صاحب القاموس: (والقسم: العطاء والرأي.. وأن يقع في قلبك الشيء فتظنه، ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة) [٣٩]. فكأن القسم في بعض اشتقاقاته اللغوية أقوى من الظن، وأقرب إلى الحق، وأبعد عن الاحتمال والشك، كما هي الحال في الحلف. فالقسم إذا يكون على الشيئ الواضح، ولهذا جاء القسم في القرآن بالأيمان الصادقة، وجاء موصوفا بالعظمة في قوله تعالى:- (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ).[٤٠]

---

[٣٥] - انظر سورة المائدة / ٨٩ ، والنساء / ٦٢، والتوبة / ٤٢، ٥٦، ٦٢، ٧٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٧، والمجادلة/ ١٤، ١٨، والقلم ١٠.

[٣٦] - سورة القلم آية ١٠.

[٣٧] - سورة المجادلة: آية ١٤.

[٣٨] - سورة المائدة: آية ٨٩.

[٣٩] - القاموس المحيط ٤/ ١٦٤.

[٤٠] - سورة الواقعة: آية ٧٦.

وباستقراء آيات القسم في القرآن الكريم، نجد أنه يعتد حال المقسم عند عقد اليمين، فيخص القسم بمن كان صادقا عند عقده لليمين، حتى ولو خالف ذلك واقع الأمر، وإنما كان ذلك هو اعتقاده الجازم[41]، أو على الأقل إيهام المقسم له بذلك. ومن هنا يمكن أن نفهم إشارة القرآن الكريم المتكررة إلى الجهد المبذول عند عقد اليمين من قبل بعض المشركين، مما يوحي بصدقهم في اعتقادهم، وإن لم يكن هو الحق. فقد ذكر الله سبحانه وتعالى إقسامهم بالله جهد أيمانهم في خمسة مواضع،[42] ليوحي ذلك بصدقهم فيها، وإن تبين فيما بعد أن الأمر بخلاف ذلك.

ومن هنا نرى أن القسم يرد عاما من الله سبحانه، وعلى لسان المسلمين، والمنافقين، والكفار، ويكون في آيات مكية ومدنية، وغالبا ما يكون صادقا بارا، وإن لم يكن كذلك في واقع الأمر، فعلى الأقل في نظر المقسم، وحسب اعتقاده عند عقد اليمين.

تقول بنت الشاطئ "د.عائشة عبد الرحمن" في تفسير سورة البلد: "فقد يبدو من السهل أن نفسر "أُقسم" بلفظ " أحلِف"، وليس في استعمال العرب لهما ما يمنع من تفسير أحدهما بالآخر، لكن استقراء الكلمتين في القرآن يمنع هذا الترادف ..... إلى أن تقول: وأمام هذا الاستعمال القرآني، لا يهون أن نفسر القسم بالحلف، وصنيع القرآن فيهما يلفت إلى فرق دقيق بين اللفظين المقول بترادفهما، فرق يؤيده فقه العربية، فاختلاف مادتي اللفظين يؤذن باختلاف مدلول كل منهما، وبين حلف وحنث من القرب، ما ليس بين حلف

---

[41] – لأن الكذب هو ما خالف الاعتقاد لا ما خالف الواقع على الأرجح ،ويؤكده حديث ذى اليدين وهو مشهور .

[42]– انظر الآيات: في سورة المائدة: آية / ٥٣، وسورة الأنعام: آية/ ١٠٩، وسورة النحل: آية / ٣٨، وسورة النور: آية/ ٥٣، وسورة فاطر: آية / ٤٢.

وقسم، مما يبعد أن يكونا سواء"[٤٣]. وهذا فرق كبير واضح، يكفي لنفي ترادف الكلمتين[٤٤].

وبعد هذا العرض الموجز لأقوال العلماء يتضح لنا الفرق الدقيق بين الحلف والقسم، ولا يمنع هذا الفارق الدقيق من استخدام أحدهما مقام الآخر أحيانا فلا شك أنهما يلتقيان فى معنى متقارب.

حكمة القسم عند العرب وفى القرآن الكريم:

القسم أسلوب عربى قديم ومشهور، والمطالع لما خلّفه لنا الأوائل من شعر أو نثر أو كلمات يجد صدق ما نقول، ثم جاء القرآن الكريم أيضا واستخدم هذا الأسلوب، وكثيرا ما أقسم الله تعالى فى القرآن -على ما سيأتى-، حتى صار القسم فعلا من أفعاله تعالى، ومعلوم أن أفعال الله لا تخلو من حكمة، وإن خفيت على البعض.

ومن أبرز الحِكَم التى تكمن فى القسم هو: توكيد الكلام لدى المخاطب وفى هذا يقول الإمام السيوطى رحمه الله:" والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا قوله تعالى " وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ " قسماً، وإن كان فيه إخبار بشهادة، لأنه لما جاء توكيداً للخبر سمى قسماً.

وعليه فالقرآن الكريم كما هو ملاحظ استخدم القسم كما استخدمته العربية، فلم يفاجئهم بغريب، بل هو من جنس كلامهم مع فارق إعجاز الإلهى فى القرآن.

---

[٤٣] - بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن) : التفسير البياني للقرآن الكريم، ط٧، ج١/ص ١٦٦-١٦٨.

[٤٤] - خصوصية المعنى لألفاظ القرآن الكريم لمحمود سليم ص ١١٥- ١٢٠.

المبحث الثاني

أركـــان القسم

للقسم أركان أربعة:-

الركن الأول: - المُقْسِم: وهو إما الله، وإما العباد.

أما القسم من الله فقد قيل: ما معنى القسم منه تعالى فإنه إن كان لأجـــل المؤمن، فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم. وإن كان لأجل الكافر، فلا يفيده ؟[٤٥]

والجواب: إن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القسم إن أرادت أن تؤكد أمراً، كما أن الحُكْمَ يُفْصَلُ باثنين: إما بالشهادة ، وإمـــا بالقســـم، فـــإذا اجتمعت البينة وهي: الشهادة، مع اليمين، على دعوى، اكتسبت مزيد ثبـــوت وتقرير، فذكر الله تعالى في كتابه النوعين، حتى لا يبقى لهم حجة، فقال "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ "وقال:" وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ. [٤٦]

ففي الآية الأولى: فصل الحكم وقرره بالشهادة. وفي الآية الثانية: قرره وأكده بالقسم، وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: "وَفِـــي السَّـــمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ" صرخ وقال: مـــن ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين؟ ".[٤٧]

فالقسم ضرب من البيان أَلِفَه العرب، ليوثقوا به أنباءَهم، وتبين أنه كثيرا ما يجيئ للاستشهاد والاستدلال على صدق المقال.

---

[٤٥] - انظر: الزركشي: البرهان، ٣ / ٤١، والإتقان ٣٨٩/١.

[٤٦] - آل عمران ١٨، يونس ٥٣.

[٤٧]- انظر الإتقان للسيوطى ٣٨٩/١، وروح المعاني ، ٢٧ / ١٠-١١.والآيتان فى الذاريات ٢، ٢٣ .

فهو إذن نوع من الدليل الواقعي المحسوس ، الذي يستميل المشاعر والوجدان، ويثير الإنتباه والتفكير.

أما قسم العباد فى القرآن الكريم فهو كثير جدا، فقد حكاه القرآن على لسان غيره ومثال ذلك ما جاء على لسان الرسول ﷺ فى قوله تعالى:" قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ".[٤٨]

ومنه ما جاء على لسان ابراهيم عليه السلام فى قوله تعالى:" وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ".[٤٩]

ومنه ما جاء على لسان أخوة يوسف عليه السلام فى قوله تعالى:" قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ".[٥٠]

ومنه ما جاء على لسان المشركين يوم القيامة فيما يحكيه عنهم القرآن الكريم فى قوله تعالى "ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ".[٥١]

ومنه ما جاء على لسان "إبليس" كما فى قوله تعالى:" قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ".[٥٢]

وهكذا يتنوع المُقسم فى القرآن الكريم، ونلاحظ أن هذه الأمثلة التى أوردناها قد استوعبت جُلَّ أدوات القسم فى اللغة العربية كما سيأتى.

الركن الثاني: المُقْسَم به: وهو ما بعد أداة القسم والذى يلزم أن يكون جليلا معظما لذاته لدى المقسِم كذات الله تعالى أو صفة من صفاته، أو لمنفعة فيه، أو للتنبيه على كوامن العبرة فيه.

---

[٤٨] – يونس ٥٣ .

[٤٩] – الأنبياء ٥٧ .

[٥٠] – يوسف ٩١ .

[٥١] – الأنعام ٢٣.

[٥٢] – ص الآية ٨٢.

وقد أقسم الله تعالى بذاته، وأمر نبيه أن يقسم به، وأقسم سبحانه بنبيه وببعض مخلوقاته فأقسم بذاته فى ستة مواطن:

الأول: قوله تعالى:" فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا".[٥٣]

الثانى: قوله تعالى:" فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ". [٥٤]

الثالث: قوله تعالى:" فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ".[٥٥]

الرابع: قوله تعالى: "فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ".[٥٦]

الخامس: قوله تعالى:" فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ".[٥٧]

السادس: قوله تعالى:" وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا".[٥٨]

على أن "ما " بمعنى "من " والمراد والسماء وبانيها، والأرض وطاحيها، ونفس ومسويها وهو قول مجاهد كما نقله ابن كثير.[٥٩]

وأمر الله نبيه أن يقسم به فى ثلاثة مواطن:

الأول: قوله تعالى:" وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ".[٦٠]

---

[٥٣] – النساء ٦٥.

[٥٤] - الحجر ٩٢ .

[٥٥] – مريم ٦٨ .

[٥٦] – الذاريات ٢٣.

[٥٧] - المعارج ٤٠ .

[٥٨] - الشمس ٥، ٦، ٧ .

[٥٩] - تفسير ابن كثير ١/ ٤٣٤.

[٦٠] – يونس ٥٣ .

الثانى: قوله تعالى:" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ".[٦١]

الثالث: قوله تعالى:" زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ".[٦٢]

وأقسم سبحانه بنبيه فى القرآن الكريم مرة واحدة قال تعالى:" لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ".[٦٣]

يقول السيوطى:" أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفسا اكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بأحد غيره قال تعالى:":" لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ".[٦٤]

وأقسم الله تعالى بملائكته فقال:" وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا " [٦٥]وأقسم بالرياح فقال:" وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا* فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا"[٦٦]، وأقسم سبحانه بالنجم والشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض والخيل والتين والزيتون وطور سينين والبلد الأمين وغير ذلك من مخلوقاته، لما فيها من دلائل القدرة وباهر العظمة وهى عبرة لمن أراد أن يعتبر.

---

[٦١] - سبأ ٣ .

[٦٢]- التغابن ٧ .

[٦٣]- الحجر ٧٢.

[٦٤]- الإتقان للسيوطى ٤ / ٥٥.

[٦٥]- الصافات ١، ٢، ٣ .

[٦٦]- الذاريات ١، ٢، ٣، ٤ .

ولله تعالى أن يقسم بما شاء على ما شاء، أما عبده فليس لهم أن يقسموا إلا بذاته سبحانه أو بصفته أو بفعله لما صح من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ".[٦٧]

الحلف بغير الله تعالى:

نطقت الأحاديث الصحيحة بتحريم الحلف بغير الله تعالى، وذلك لأن الحلف على نية التعظيم، والمسلمُ مطالبٌ ألاَّ يعظم غير الله تعالى، وفى هذا المقام يطرأ سؤال هام، وهو أن القرآن الكريم قدوتنا فيما نأتى وندر، والقرآن ذاته قد أقسم بغير الله – كما مر – ولم يكن قَسَمُه بغير الله على سبيل الحكاية، بل كان قسما صادرا منه سبحانه " والنجم إذا هوى "، "والضحى....." والأمثلة كثيرة، فكيف يقسم الله بما ورد النهى عن القسم به فى صريح النصوص ؟ وهل لنا أن نقسم بغير الله كما فعل القرآن الكريم؟

ويعرض السيوطى لهذا التساؤل ويجيب عليه فيقول:" فإن قيل: كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله؟

قلنا: أُجيبَ عنه بأوجه.

أحدها: أنه على حذف مضاف: أي ورب التين ورب الشمس، وكذا الباقي.

الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفونه.

الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أويجله وهو فوقه، والله تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع.

---

[٦٧]– الحديث رواه البخارى فى صحيحه باب لا تحلفوا بآبائكم برقم ٦١٥٥، ورواه مسلم برقم ٣١٠٤ .

وقال ابن أبي الإصبع في أسرار الفواتح: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع، لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: إن الله يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله، وقال العلماء: أقسم الله تعالى بالنبي ﷺ في قوله لعمرك، لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه.

وقال أبو القاسم القشيري: القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة، أولمنفعة. فالفضيلة كقوله (وطور سينين وهذا البلد الأمين) والمنفعة نحو "والتين والزيتون" وقال غيره: أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء: بذاته كالآيات السابقة، وبفعله نحو والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها وبمفعوله نحو والنجم إذا هوى، والطور، وكتاب مسطور".[٦٨]

والملاحظ فى إجابة السيوطى على هذا التساؤل، أنها أجوبة اجتهادية ولا نص فيها، فقد حاول من خلال كلامه أن ينفى التعارض المتوهم بين النهى الوارد عن الحلف بغير الله وبين ما جاء فى القرآن الكريم من القسم بغير الله تعالى.

ويبقى فى المسألة إشكال وهو أنه ورد عن رسول الله ﷺ فى الصحيح أنه قال لأحد أصحابه:" نَعَمْ وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّ " فى حديث من جاء يسأل عن أحق الناس بحسن الصحبة. [٦٩]

وفى حديث آخر قال ﷺ:" أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ أو دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ". [٧٠]

---

[٦٨]- راجع الإتقان للسيوطى ٤/ ٥٤ ، ٥٥.

[٦٩]- الحديث رواه البخارى ١٦٦/٨ باب من حلف بملة سوى الإسلام، ومسلم فى صحيحه باب بر الوالدين برقم الحديث ٤٦٢٢.

[٧٠]- الحديث رواه مسلم فى صحيحه باب ا الصلوات برقم ١٢ج ١ / ٩٢.

ولإزالة هذا الإشكال يقول الإمام ابن حجر فى شرحه للحديث:" فَإِنْ قِيلَ: مَا الْجَامِع بَيْن هَذَا وَبَيْن النَّهْي عَنْ الْحَلِف بِالْآبَاءِ ؟ أُجِيبَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْل النَّهْي، أَوْ بِأَنَّهَا كَلِمَة جَارِيَة عَلَى اللِّسَان لَا يُقْصَد بِهَا الْحَلِف، كَمَا جَرَى عَلَى لِسَانهمْ عَقْرَى، حَلْقَى وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَوْ فِيهِ إِضْمَار اِسْم الرَّبّ كَأَنَّهُ قَالَ: وَرَبّ أَبِيهِ، وَقِيلَ: هُوَ خَاصّ وَيَحْتَاج إِلَى دَلِيل، وَحَكَى السُّهَيْلِيّ عَنْ بَعْض مَشَايِخه أَنَّهُ قَالَ: هُوَ تَصْحِيف، وَإِنَّمَا كَانَ وَاَللَّه، فَقُصِّرَتْ اللَّامَان. وَاسْتَنْكَرَ الْقُرْطُبِيّ هَذَا وَقَالَ: إِنَّهُ يَجْزِم الثِّقَة بِالرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَة. وَغَفَلَ الْقَرَافِيّ فَادَّعَى أَنَّ الرِّوَايَة بِلَفْظِ: وَأَبِيهِ لَمْ تَصِحّ ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ فِي الْمُوَطَّأ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَرْتَضِ الْجَوَاب فَعَدَلَ إِلَى رَدّ الْخَبَر، وَهُوَ -أى الحديث-صَحِيح لَا مِرْيَة فِيهِ، وَأَقْوَى الْأَجْوِبَة الْأَوَّلَانِ"[٧١]

وهكذا يجاب عن هذا الحديث بأنه صدر عن النبى ﷺ على سبيل تقوية الكلام وليس على نية التعظيم لغير الله، وهذا أقوى ما يحمل عليه الحديث أما ما قيل من أن النبى قال ذلك قبل النهى عن الحلف بغير الله فهو ضعيف، إذ لم يعهد عن النبى تعظيم لغير الله تعالى لا قبل البعثة ولا بعدها.

الغرض من إيراد الحلف بغير الله في القرآن الكريم :

الأول: - أنه قد يكون شيئاً علوياً بعيداً عنا يثير الرهبة والعظمة والجلال، ويدعونا ذكره والقسم به إلى التدبر والتفكر فيه، فأخذ في توجيه أنظارنا إليه بالبحث والتحليل وكيفية تسخيره لمنافعنا، وذلك كالسماء، وما فيها من شمس، وقمر، ونجوم، ومظاهر كونية كثيرة، فالقسم بهذه الكائنات العلوية، يدفع الناس إلى البحث والتدبر فى خلقها ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ

---

[٧١]- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ط السلفية ١/ ١٠٧، ١٠٨.

وَالْأَرْضِ"[٧٢] "أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ "[٧٣].

وقد أثبتت العلوم الحديثة أن فى جميع ما أقسم الله به فى القرآن من مخلوقاته، فيه بالتدبر ما يبهر العقول، وتخرُّ لهِ النفوسُ ساجدة خاشعة قائلة: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[٧٤].

الثاني:- أن المقسم به قد يكون شيئا أرضيا مما يحيط بالإنسان ويتعايش به ومعه، ويقسم الله تعالى به لما فيه من منافع وفوائد، كالتين، والزيتون، والبحر المسجور، والأرض وما طحاها،وفيه أيضا دعوة للتدبر والتفكر.

الثالث:- أن يكون المقسم به شيئا ذاتيا للإنسان، وذلك كالنفس البشرية التي أقسم الله تعالى بها في قوله: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا"[٧٥].

ولا شك أن القسم بهذه الأشياء يفتح للباحثين مجالا كبيرا في المباحث الفكرية، والنفسية، والاجتماعية، وغيرها من المجالات التى.تكتشف من جديد إعجاز القرآن الكريم فيما يقسم به.[٧٦]

الركن الثالث. جواب القسم أو المقسم عليه:-

وهو الأمر المراد تقويته وتأكيده وتقريره:كأمر التوحيد وإثبات النبوة، وصدق القرآن ووقوع الجزاء وغيرها، ويمكن إجمال الأمور المقسم عليها في القرآن الكريم في أصول أربعة هي أسس الإيمان، وهي:

---

[٧٢] - سورة يونس: آية /١٠١.

[٧٣] - سورة الأعراف: آية /١٨٥

[٧٤] - سورة آل عمران: آية /١٩١.

[٧٥] - سورة الشمس: آية /٧.

[٧٦] - انظر: د. سمير عبد العزيز شيلوة: الكشف والبيان ص ٢٩٣.

الأول: تثبيت أساس التوحيد.

الثاني: تقرير أمر النبوة، وبيان صدق الكتاب الحكيم.

الثالث: إثبات الحياة الأخرى، وما يتصل بها من حساب، وما ترتب عليه من ثواب أو عقاب.

الرابع: توضيح أحوال الإنسان وتصرفاته في هذه الحياة.

أما الأصل الأول: وهو تثبيت أساس التوحيد: فيدخل تحت هذا الأصل قوله تعالى:(وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ)[٧٧].

أقسم تعالى بنفوس الغزاة التي تقاتل في سبيل الحق على أنه لا معبود بحق إلا إله واحد لا شريك له، إذ لو كان مع الله آلهة أخرى إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، وبذلك يختل نظام الكون، وتفسد الحياة عليه.

وأكثر المفسرين على أن المراد بالصافات، والزاجرات، والتاليات، جماعة من الملائكة موصوفة بهذه الصفات، وهو الأظهر والأرجح.

فيكون المعنى: وحق الملائكة الذين يصفون أنفسهم صفا لعبادة الله تعالى وطاعته، والذين يزجرون غيرهم عن ارتكاب المعاصي، أو يزجرون السحاب إلى الجهات التي كلفهم الله بدفعه إليها، والذين يتلون آيات الله المنزلة على أنبيائه، تقربا إليه، وطاعة له.. إن ربكم أيها الناس لواحد لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في خلقه..

والأصل الثاني: وهو تقرير أمر النبوة، والإشادة بصدق الكتاب الحكيم :

قوله تعالى: - (يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)[٧٨].

---

[٧٧] - سورة الصافات: الآيات /١، ٢، ٣، ٤.

[٧٨] - سورة يس : الآيات /١، ٢، ٣.

أقسم جل جلاله بالقرآن الحكيم، المعجز في نظمه، المتقن في تشـريعه وأحكامه، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،على أن محمـدا ﷺ رسول من المرسلين، والتأكيد بالقسم لشدة إنكارهم لرسالته، ومن المعلوم: أن القرآن معجزة من معجزات رسولنا ﷺ وتحدى العرب أن يأتوا بحديث مثلـه، أو بعشر سور من مثله مفتريات، أو بسورة من مثله، فعجزوا أمام تحديه لهم، فإقسام الله بالقرآن على صحة الرسالة، إقسام بالمعجزة التي تؤيد تلك الرسالة، كأنه قال: إنك من المرسلين بدليل القرآن الحكيم

ومنه قوله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَـا غَـوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْـيٌ يُـوحَى (٤) عَلَّمَـهُ شَـدِيدُ الْقُوَى(٥)).

أقسم – سبحانه – بالكوكب الذي ينبعث منه النور، وتكون به الهداية في ظلمات البر، والبحر، على كون محمد ﷺ سالكا جادة الرشد والهداية، ونفـى عنه ما كانت قريش تنسبه إليه من الضلال في ترك ما كانت عليـه آبـاؤهم، وأئمة الكفر منهم، وأن ما جاء به من الكتاب ليس من عنده، وإنما هو وحـي إلهي.

وكانت العرب تضرب الأمثال بهداية النجم والاهتداء به، ومما يـؤثر عنهم في هذا قولهم: فلان أهدى من النجم، ويقولون: لا يضل فلان حتى يضل النجم، وإلى هذا أشار القرآن نفسه فقال:(وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [٧٩].

والمناسبة بين المقسَم به والمقسَم عليه ظاهرةٌ جليةٌ، فالمقسم به : هـو النجم الذي لا يضل السبيل، وبه يهتدي السائرون، والمقسم عليه: كون محمـد ﷺ هاديا، وكون ما جاء به وحيا تلقاه من لدن حكيم خبير.

---

[٧٩] – سورة النحل: آية / ١٦.ولذا فإن التقويم النجمى من أدق التقاويم،حيث تستغرق دورة النجم أربعـا وعشرين ساعة كاملة، بخلاف التقويم الشمسى والقمرى ففيه نقص فى هذه المدة مما يسبب الاختلاف .

وإنما قال: ما ضل صاحبكم ، ولم يقل: ما ضل محمد، تأكيدا لإقامة الحجة عليهم لأنهم مصاحبون له طوال أربعين سنة قبل البعثة، وهم أعلم الخلق به وبحاله، وبأقواله، وبأعماله، وأنهم في تلك المدة الطويلة لم يشاهدوا منه إلا الصدق، والأمانة، والعقل الراجح، والقول السديد، فقولهم بعد بعثته ﷺ إنه ساحر، أو مجنون، هو نوع من كذبهم البين، وجهلهم المطبق. [٨٠]

الأصل الثالث: في إثبات الحياة الأخرى، وما يتصل بها من حساب، أو ثواب أو عقاب، قوله تعالى: (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ " [٨١]

أقسم الله جل وعلا بأمور أربعة على أن ما توعد به من البعث، وأمر الساعة حق، وعلى أن الدين وهو الجزاء، من ثواب أوعقاب ، واقع لا محالة، فهو قسم على البعث، وعلى الجزاء.

قال الفخر الرازي: (الأمور الأربعة -التي أقسم الله بها هنا - جاز أن تكون أمورا متباينة، وجاز أن تكون أمرا له اعتبارات أربع، الأول: أن الذاريات: هي الرياح، والحاملات: هي السحاب، والجاريات: هي السفن، والمقسمات: هي الملائكة الذين يقسمون الأرزاق.

والثاني: وهو الأقرب: أن هذه صفات أربع للرياح، فالذاريات: هي الرياح التي تنشئ السحاب، والحاملات: هي الرياح التي تحمل السحب التي هي بخار المياه، والجاريات: هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها. والمقسمات: هي الرياح التي تفرق الأمطار على الأقطار..) [٨٢].

---

[٨٠]- انظر: حاشية الشهاب للشهاب الخفاجي ٨ / ١٠٩- ١١٠، والفتوحات الإلهية الشهير بحاشية الجمل بتوضيح تفسير الجلالين: ٤ / ٢٢- ٢٢٣.

[٨١] - سورة الذاريات :الآيات /١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦.

[٨٢] - التفسير الكبير للفخر الرازي ٢/ ١٩٥.

وعلى هذا تكون الفاء لبيان ترتيب هذه الصفات في الوجود، فإن الذاريات تثير البخار، فينعقد سحابا، فتحمله الرياح، فتفرقه على الأقطار.

والمقسم عليه: صدق الموعود به من البعث والنشور، ووقوع الحساب، والمناسبة بين المقسم به، والمقسم عليه واضحة، فالقادر على تأليف السحاب من ذرات البخار، بواسطة الرياح الذارية، ثم إعادته بعد ذلك إلى سيرته الأولى، قادر على إعادة الإنسان، وتأليف أجزائه المتفرقة.

الأصل الرابع: بيان أحوال الإنسان وتصرفاته المختلفة :

الناس يختلفون فيما يهتمون به من أعمال يقول تعالى:" وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى* إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى".[٨٣]

وفى هذا يقول ابن القيم رحمه الله:" ولفظ السعى هو العمل، لكن يراد به العمل الذى يهتم به صاحبه، ويجتهد فيه بحسب الإمكان.... فلفظ السعى ليس هو مرادفا للعمل كما ظنه طائفة، بل هو عمل مخصوص. [٨٤]

وكل ميسر لما خلق له، وهناك آيات واردة أثبتت صفات للإنسان سواء فى الدنيا أو فى الأخرة ومن ذلك قوله تعالى: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)[٨٥].

والمقسم عليه في هذه السورة يتكون من أمور ثلاثة:

أ- دليل من أدلة القدرة الإلهية على البعث ، والجزاء، وهو قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ).

---

[٨٣] - الليل ١- ٤.

[٨٤] - التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم ص ٩ ط دار الكتب العلمية بيروت.

[٨٥] - سورة التين : الآيات /١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦.

ب - وعيد صارم شديد وهو قوله تعالى: (ثم رددناه أسفل سافلين) وأسفل سافلين: النار على الصحيح، أو هو سجين موضع الفجار، كما أن عليين موضع الأبرار.

ورددناه: معناه ونرده، فعبر بالماضي موضع المضارع المستقبل، إيذانا بأن الرد أسفل سافلين واقع لا محالة، وتشبيها للمستقبل المحقق وقوعه، بالماضي الواقع فعلا.

ج- وعد حسن وهو قوله تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) [٨٦] أي: غير مقطوع. والقسم في هذه السورة يتأكد على الأمرين الأخيرين، أي: على الوعد والوعيد.

ومنه قوله تعالى " وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ".[٨٧]

فيقسم القرآن هنا بالعصر أن صفة الخسران ثابتةٌ فى حق الإنسان ولا تكاد تنفك عنه إلا من رحم الله تعالى ووفقه للإيمان والعمل بالصالحات. تلك هى أصول الأمور المقسم عليها فى القرآن، وغيرها فروع عديدة من السهل ردها إلى أصولها، وبالجملة فقد أقسم الله تعالى فى كتابه على أمور كثيرة ترجع فى جملتها إلى أمرين " أصول الإيمان وحال الإنسان".[٨٨]

حذف جواب القسم:

هذا والغالب في المقسم عليه أن يكون موجودا، لأنه المقصود بالتحقيق، وقد يحذف كما يحذف جواب (لو) إما: للعلم به، أو لتذهب النفس فيه كل

---

[٨٦] - سورة التين : آية / ٦.

[٨٧] - سورة العصر .

[٨٨] - راجع فى هذا التبيان فى أقسام القرآن ٣-٨، توفيق الرحمن فى شرح أنواع من علوم القرآن د حمودة سند ص ١٢٨ ط دار الكتب الدينية ط ثانية ١٤٠٧هـ .

مذهب. كما في مثل قوله تعالى: (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) [٨٩]، فجواب لو محذوف، تقديره: لو تعلمون علم اليقين عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به، وهذه عادة العرب في كلامهم إذا رأوا أموراً عجيبةً، وأرادوا أن يخبروا بها الغائب عنها.

وأكثر ما يحذف جواب القسم: إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه، فإن المقصود يحصل بذكره (أي المقسم به)، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز، كما في قوله تعالى: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) [٩٠]، فإن في المقسم به من تعظيم القرآن، ووصفه بأنه ذو الشرف، والقدر، ما يدل على المقسم عليه، وهو كونه حقا من عند الله غير مفترى، وتقدير الجواب: إن الفرقان لحق. وهذا يطَّرد في كل ما شابه ذلك، كقوله تعالى: (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) [٩١].

وقد يشير إلى جواب القسم السياق الوارد فى النص كقوله تعالى:" لا أقسم بيوم القيامة " فالجواب محذوف وتقديره:لتبعثن ولتحاسبن وقد دل على هذا الجواب قوله تعالى " أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ " [٩٢] والاستفهام للتوبيخ والتقريع، أى أيظن هذا الإنسان المكذب أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها ؟

وفى حالة وقوع جواب القسم فعلا ماضيا لحقت به "قد" ومثال ذلك قوله تعالى من سورة الشمس:" وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا

---

[٨٩] – سورة التكاثر : آية /٥.

[٩٠] – سورة صّ : آية/١ .

[٩١] – سورة ق :آية/١.

[٩٢]– القيامة ٣ .

طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا".

فالآية الأخيرة هى جواب القسم وقد اقترن الفعل الماضى بقد الذى يفيد التحقيق.

الركن الرابع: أدوات القسم:

للقسم أدوات منها: (الباء، والواو، والتاء، واللام،ومن)، قال سيبويه :(وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به،..الخ).[٩٣]

والذي يعنينا من هذه الأدوات هي الحروف الثلاثة الأولى وأكثرها شيوعا الباء، وقد تنوب عنها الواو فى الاسم الظاهر فقط والتاء تنوب عن الواو فى مواطن، إذ لم ترد اللام، أو من، للقسم في القرآن الكريم.[٩٤]

أولها: الباء: وهي الأصل في أدوات القسم، وهي حرف جر يأتي لأربعة عشر معنى، ذكر معانيها ابن هشام، وقال:" الثاني عشر: القسم، وهو أي: حرف الباء أصل أحْرُفِه".[٩٥]

ومما يؤيد أن الباء أصل حروف القسم :

١- جواز إثبات فعل القسم وفاعله معها كقوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ...الآية)[٩٦] أو حذفهما، كما في قوله تعالى: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)[٩٧]. وإن كان السيوطى لا يرى جواز حذف فعل القسم مع الباء ويخطئ مَن عدّه عندئذ قسما، فيقول فى

---

[٩٣] – سيبويه: الكتاب،تحقيق: عبد السلام هارون، ج٣/ ص٤٩٦ وما بعدها.

[٩٤] – انظر: ابن يعيش: شرح المفصل: ج٨/ ص ٣٣- ٣٤ ، وج٩ / ص ٩٩- ١٠١.

[٩٥] – انظر معاني الباء في: ابن هشام: المغني، ص ١٤٣ .

[٩٦] – سورة النحل: آية / ٣٨.

[٩٧] – سورة الأعراف: آية / ١٦.

إتقانه:" فإذا ذُكِرَت الباء أُتِى بالفعل كقوله "يحلفون بالله" ولا تجد البـــاء مـــع حذف الفعل، ومن ثَمَّ كان خطأ من جعل قسما "بالله إن الشرك لظلم"، " بمـــا عهد عندك"،" بحق إن كنت قتلته فقد علمته".

وآية سورة الأعراف ترد على ما ذهب إليه السيوطى، فهى لا تُحْمـــل إلا على القسم، ويمكن حمل ما قاله أنه على الغالب والمشهور فقط.

٢ – دخولها على المظهر والمضمر، ولا يدخل من حروف القسم غيرها على المضمر، ومن شواهد دخولها على الاسم الظاهر، قوله تعالى: "قَالُوا تَقَاسَـمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ...الآية "[٩٨]. أما دخولها على المضمر فلا دليل له في القرآن الكريم، وهو كقولك: " أقسم به إني لصادق ".

٣–تستعمل في القَسَم الاستعطافي: كقول عبد الله بن قيس الرقيّات:

رقيّ بعمرِكم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا.[٩٩]

فاستعمل الباء في الاستعطاف في "بعمركم لا تهجرينا ".

ثانيها: الواو: وتأتي لعدة معان، يقول ابن هشام: " انتهى مجموع مـــا ذكر من أقسامها إلى خمسة عشر، إلى أن يقول: السادس والسابع: واوان ينجر ما بعدهما، إحداهما: واو القسم، ولا تدخل إلا علـــى مظهـــر، ولا تتعلـــق إلا بمحذوف نحو: "والقرآن الحكيم"[١٠٠]، فإن تلتها واو أخرى، نحـــو: " والتـــين والزيتون "[١٠١] فالتالية هي واو العطف".[١٠٢]

انتهى كلام ابن هشام، ومنه يفهم أن من معانى الواو "القسم" وأمثلته فى القرآن الكريم كثيرة جدا. فضلا عن كونها أكثر الأدوات شيوعا واستعمالا فى اللغة اليومية عندنا، وحكى فيها أنها لا تدخل إلا على المُظهَر.

---

[٩٨] – سورة النمل: آية/ ٤٩ .

[٩٩] – عبد الله بن قيس الرقيات: ديوانه، ص ١٣٧.

[١٠٠] – سورة يس: آية/ ٢.

[١٠١] – سورة التين: آية/ ١.

[١٠٢] – ابن هشام: المغني: ص٤٧٣ .

ثالثها: التاء: ذكرها ابن هشام أيضا فى مغنيه وذكر من معانيها أنها أيضا تكون للقسم، كما أوضح أنها أقل الأدوات استخداما فى القرآن الكريم، مع دلالتها على معنى التعجب، واختصاصها بلفظ الجلالة فيقول فى مغنيه: "التاء المفردة: محركة في أوائل الأسماء، ومحركة في أواخرها، ومحركة في أواخر الأفعال، ومسكنة في أواخرها.

فالمحركة في أوائل الأسماء حرف جرّ معناه القسم، وتختص بالتعجب وباسم الله تعالى، وربما قالوا تربِّي وترَبِّ الكعبةِ وتالرّحمنِ، قال الزمخشري في "**وتالله لأكيدنّ أصنامكم**": الباءُ أصل حروف القسم، والواو بدل منها، والتاء بدل من الواو، وفيها زيادة معنى التعجب، كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتّيه مع عُتوّ نمرود وقهره.[١٠٣]

هذا وقد عدّ بعض الباحثين من أركان القسم " فعل القسم " كقوله تعالى:" وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ" [١٠٤] وقد يحذف فعل القسم ويُكتفى بالواو الدالة عليه كقوله تعالى:" وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا " والتقدير أقسم برب الشمس، كما اعتبر بعضهم أن وجود علاقة وملائمة بين المقسم به والمقسم عليه ركنا من أركان القسم.[١٠٥]

أما عن توفر جميع الأركان فى جملة القسم من عدمه فالقسم عندئذ ينقسم إلى قسمين:

الأول:

الظاهر: وهو ما صرّح فيه بفعل القسم وبالمقسم به والمقسم عليه ويدخل تحته ما حذف منه فعل القسم وعوّض عنه بالأداة كما فى قوله:" **والليل**

١٠٣- ابن هشام : المغني، ص ١٥٧، وراجع قول الزمخشرى فى كشافه ٢/ ٥٧٦.

١٠٤- النور ٥٣ .

١٠٥- راجع الأساس فى علوم القرآن د عبد الحميد خشبة ص ١٤٤ط ١٩٩٥م بدون طبعة .

إذا يغشى "، وهذا النوع هو الغالب فى القرآن الكريم وقد تعددت صوره فى القرآن.

فأحيانا يتعدد المقسم به مع انفراد المقسم عليه كما فى قوله تعالى: "وَالطُّورِ (١) وكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧)" فقد تعدد القسم والمقسم عليه واحد.

وأحيانا يتعدد المقسم به والمقسم عليه كما فى قوله تعالى:" وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ".

وأحيانا ينفرد المقسم به ويتعدد المقسم عليه كما فى قوله تعالى:" وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)" فالمقسم به هنا واحد وهو النجم أى نجم الشعرى المعروف لدى العرب قديما.

الثانى:

المضمر: وهو ما لم يصرح فيه بفعل القسم ولا بالمقسم به ولا بأداة القسم، وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التى تدخل على جواب القسم كقوله تعالى: "لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...."[١٠٦] والتقدير أقسم بالله لتبلون فى أموالكم.....[١٠٧]

---

[١٠٦] آل عمران من الآية ١٨٦.

[١٠٧] انظر البرهان للزركشى ٣/ ٤٣.

جواب القسم:

لا بد للقسم من جواب، وجوابه إما مثبت وإما منفى، **فالمثبت:** يكون بـ**إن**" كقوله "وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ"، **وباللام** كقوله " تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ".[١٠٨]

وباللام وقد معا كقوله " تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ". [١٠٩]

وقد تحذف اللام كقوله " **قد أفلح من زكاها** " فى جواب " **والشمس وضحاها** ".

وقد تحذف اللام وقد معا كقوله " **قتل أصحاب الأخدود**" فى جواب " **والسماء ذات البروج** " فالتقدير لقد قتل أصحاب الأخدود.

والمنفى: إما **بما** كقوله "والضحى " وجوابه " **ما ودعك ربك وما قلى**".

أو **بلا** كقوله:" **قالوا تالله تفتؤ** " أى لا تفتؤ فهو منفى بلا المحذوفة.

أو **بإن** كقوله "والسماء والطارق" وجوابه "إن كل نفس لما عليها حافظ".

أو **بلن** كقوله " لا أقسم بيوم القيامة " وجوابه " أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه ".

وقد صرح بالجواب فى كثير من السور مثبتا أو منفيا، وفى بعضها لم يصرح به كما فى قوله تعالى " وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥)".

فالجواب محذوف، وفى الآيات التى تلته دليل عليه، وتقدير الجواب: لتحاسبُنّ ولينزلنّ بكم ما نزل بعاد وثمود من أسلافكم، بدليل قوله تعالى " ألم تر كيف فعل ربك بعاد " بعدها وغير خاف أن قوله تعالى " هل فى ذلك قسم

---

[١٠٨] – النحل ٥٦ .

[١٠٩] – سورة النحل ٦٣ .

لذى حجر " لا يصلح أن يكون جوابا للقسم الذى انتهى بقوله " والليل إذا يسر" لأن الاستفهام لا يكون جوابا..[١١٠]

[١١٠] راجع توفيق الرحمن فى شرح أنواع من علوم القرآن أ د حمودة سند ص ١٤٤

المبحث الثالث

القسَم المبدوء بأداة النفي

قد يرد المقسم به مسبوقا بأداة النفي " لا "، وقد جاءت هذه الصورة في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، وهي على حالتين: -

أ - مقسم به تقدمته أداة النفي مقترنة بالفاء، وذلك في ستة مواضع من القرآن الكريم، وكلها في ثنايا السور وهي:

١ - قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)[١١١].

٢ - قوله تعالى: (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) [١١٢].

٣ - قوله تعالى: (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون) [١١٣].

٤-قوله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم) [١١٤].

٥- قوله تعالى: (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس)[١١٥].

٦- قوله تعالى: (فلا أقسم بالشفق) [١١٦].

ب - مقسم به مسبوق بأداة النفي غير مقترنة بالفاء، وذلك في موضعين: -

١- قوله تعالى: - (لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة) [١١٧].

٢ - قوله تعالى: - (لا أقسم بهذا البلد)[١١٨].

---

[١١١] - سورة النساء : ٦٥.

[١١٢] - سورة الحاقة: ٣٨، ٣٩.

[١١٣] - سورة المعارج: ٤٠.

[١١٤] - سورة الواقعة: ٧٥.

[١١٥] - سورة التكوير : ١٥، ١٦.

[١١٦] - سورة الانشقاق :١٦.

[١١٧] - سورة القيامة: ١، ٢.

[١١٨] - سورة البلد: ١.

وظاهر الآيات يوهم الإشكال، فهل يريد الله القسم أم ينفيه، وقد تناول العلماء هذا النوع من المقسم به بالبحث والتنقيب، وحاولوا إيجاد حلول ومخارج تزيل ما قد يطرأ من لبس على فهم المراد من كلام الله تعالى.

الرأي الأول:

وحاصله: أن "لا" لنفي الحاجة للقسم، فكأن الله تعالى يقول: لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب، فهو أعظم وأجل من أن يقسم عليه بهذه الأشياء، أو أن الأمر المراد إثباته ليس فى حاجة إلى قسم لشدة وضوحه ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه، وتفخيم شأنه، فإن إثباته أظهر وأجل وأقوى من أن يحاول إثباته بمثل هذا القسم، وبه قال الفخر الرازي.[١١٩]

ب – أن "لا" هذه إذا وقعت خلال الكلام، كقوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) [١٢٠]، فهي صلة تزاد لتوكيد القسم، مثلها في قوله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) [١٢١] لتأكيد وجوب العلم. وإذا وقعت ابتداء كما في سورة القيامة، وسورة البلد، فهي للنفي، لأن الصلة لا تكون في أول الكلام. ووجهه: – أن إنشاء القسم يتضمن الإخبار عن تعظيم المقسم به، فهو نفي لذلك الخبر الضمني على سبيل الكناية، والمراد: أنه لا يعظم بالقسم، لأنه في نفسه عظيم، أقسم به أو لا، ويترقى من هذا التعظيم إلى تأكيد المقسم عليه، إذ المبالغة في تعظيم المقسم به، تتضمن المبالغة في تعظيم المقسم عليه.. وبه قال الزمخشري. [١٢٢]

---

[١١٩] – الفخر الرازي: التفسير الكبير ، الطبعة الثالثة، ج٢٩/ ص ٢١٥.

[١٢٠] – سورة النساء : آية /٦٥.

[١٢١] – سورة الحديد: آية /٢٩.

[١٢٢] – الزمخشري: الكشاف: ج١/ ص٥٣٨.

جـ – أن "لا" لنفي ما ينبئ عنه القسم من إعظام المقسم به وتفخيمه، فإن معنى لا أقسم بكذا: لا أعظمه بإقسامي حق إعظامه، فإنه حقيق بأكثر من ذلك. وهذا الرأي يدور على أن (لا) للنفي، وهذا الأسلوب يتضمن التعظيم. لكن: هل التعظيم منصب على المقسم به، كما ذهب إليه أبو السعود [١٢٣]، على معنى: لا أعظمه بإقسامي به حق إعظامه، فإنه حقيق بأكثر من ذلك.

أم أن التعظيم منصب على المقسم عليه، على معنى: لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات المطلوب، فإنه أعظم من أن يقسم عليه بهذه الأشياء، وهذا ما ذهب إليه الفخر الرازي. [١٢٤] أم هو منصب على المقسم به، والمقسم عليه، كما ذهب إلى ذلك الزمخشري ؟ إذ المبالغة في تعظيم المقسم به تتضمن المبالغة في تعظيم المقسم عليه.[١٢٥]

ويرد هذا الرأي قوله تعالى في سورة الواقعة: – (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) [١٢٦]. فهذا دليل على أن ههنا قسما مثبتا، وأن الكلام إثبات قسم، لا نفي قسم، وليس بعد بيان الله بيان، ويقاس على هذا بقية المواضع الثمانية، إذ هي مثلها في اللفظ، فتكون مثلها في الحكم.

الرأي الثاني:

وحاصله: أن صيغة "لا أقسم" عبارة من عبارات القسم، واختلفوا في توجيهها على أقوال:

أولا: أن لا صلة، أي: زائدة، والمعنى: أقسم، قال بزيادتها : (ابن خالويه) [١٢٧]، وقال بزيادتها كذلك الزمخشري قال: [فلا أقسم، معناه: فأقسم،

---

[١٢٣] – أبو السعود بن محمد العمادي: تفسير أبي السعود (تفسير سورة الواقعة) ،ج٥/ ص ٢٦٧.

[١٢٤] – الفخر الرازي: التفسير الكبير ج٢٩ / ص ٢١٥ (تفسير سورة القيامة).

[١٢٥] – انظر تعليق _ ابن المنير– على تفسير الزمخشري للآية / ٦٥ في سورة النساء، ج١/ ص ٥٣٨-٥٣٩.

[١٢٦]– سورة الواقعة: آية /٧٦.

[١٢٧] – ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد): إعراب ثلاثين سورة من القرآن،ص ٨٧.

ولا مزيدة مؤكدة، مثلها في قوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب)] [١٢٨] وقال في موضع آخر من الكشاف: إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم، وأشعارهم قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري *** لا يدعي القوم أني أفر[١٢٩]

وقال غوثة بن سلمى:

ألاَ نَادَتْ أُمَامَةُ بِاحتِمالِ *** لِتَحْزُنَني فَلاَ بِكِ ما أُبَالِي

وفائدتها توكيد القسم. ثم قال:" واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله، وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة، متصل بعضه ببعض، والاعتراض صحيح، لأنها لم تقع مزيده إلا في وسط الكلام، ولكن الجواب غير سديد، ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته " [١٣٠]

وقيل: إنها زيدت توطئة وتمهيدا لنفي الجواب، كما في قوله تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة) فالمعنى: لا، أقسم بيوم القيامة، لا يتركون سدى [١٣١].

وما قاله الزمخشري وغيره مردود بأمور منها:

١ – لا: ليست زائدة لتأكيد القسم، لأن ما يراد توكيده ينبغي أن يكون متقدما عما هو مؤكد له، فليس من المقبول أن نجعل "لا" مزيدة لتأكيد معنى القسم الوارد بعدها، وقد منع "ثعلب" وغيره مجيء لا زائدة للتأكيد في إبتداء القول، واستقبحه بعض أهل اللغة، وأنكروه، لأن حكم التأكيد ينبغي أن يكون بعد

---

[١٢٨]– الزمخشري: تفسير الكشاف، ج٤ / ص ٥٨.

[١٢٩] – ديوان امرئ القيس، حسن السندوبي، ص ٥٢، والقوم هنا: بنو تميم. أفر: أنهزم. وقد جعل بعض الرواةهذا البيت أول القصيدة. وابنة العامري هي: هر بنت سلامة بن علند.

[١٣٠] – الزمخشري: تفسير الكشاف ج٤/ ص١٨٩ (تفسير سورة القيامة).

[١٣١] – مغني اللبيب لابن هشام ص ٣٢٨- ٣٢٩.

المؤكد [١٣٢]. ولأن زيادة الحرف يدل على إطراحه، وكونه في أول الكلام يدل على قوة العناية به، لذا لم يجز أن نجعل "لا" في هذه الآية زيادة. [١٣٣]

٢ –وقولهم: إن "لا" زيدت توطئة وتمهيدا لنفي الجواب، مردود بقوله تعالى: – (فلا أقسم بمواقع النجوم) فإن جوابه هو قوله تعالى: (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون). [١٣٤]

وهو مثبت غير منفي، ومثله قوله تعالى: "لا أقسم بهذا البلد" فإن جوابه مثبت، وهو قوله تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في كبد" [١٣٥].

ثانيا: أن "لا " نافية لكلام سابق ثم إستأنف القسم :

وتحقيقه في قوله تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة) أن "لا" نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث، أي: ليس الأمر كما زعموا، ثم ابتدأ: أقسم بيوم القيامة.

قال القرطبي: "وقال بعضهم: "لا": رد لكلامهم حيث أنكروا البعث، فقال: ليس الأمر كما زعمتم. قلت: وهذا قول الفراء، قال الفراء: وكثير من النحويين يقولون " لا " صلة، ولا يجوز أن يبدأ بجُحْد ثم يجعل صلة، لأن هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه جُحد من خبر لا جُحد فيه، ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث، والجنة، والنار، فجاء الإقسام بالرد عليهم، وذلك كقولهم: لا والله لا أفعل، ف "لا" رد لكلام قد مضى، وكقولك:لا والله إن القيامة لحق، كأنك أكذبت قوما أنكروه " وهو رأي أبي علي الفارسي كذلك[١٣٦].

ونجيب على هذا القول، بأنه ضعيف من وجوه: –

---

[١٣٢] – ابن يعيش: شرح المفصل: ج٨ ص ١٢٦.

[١٣٣] – أمالي ابن الشجري: ج١/ ص ٢١٩، ٢٢٢.

[١٣٤] – سورة الواقعة: ٧٥، ٧٧، ٧٨.

[١٣٥] – سورة البلد: آية ١، ٤ .

[١٣٦] – انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٦٠ ، وراجع معاني القرآن للفراء ج٣/ ص٢٠٧. وأمالي ابن الشجري، ج٢/ ص ٢٠٧. وقد نقل ابن الشجري هذا الرأي عن أبي علي الفارسي.

١- إن هذا الكلام المحذوف الذي قدروه لا دليل عليه.

٢- قولهم هذا يتنافى مع ما قرره النحويون من أن اسم "لا" وخبرها لا يجوز حذفهما إلا إذا كانا في جواب سؤال، كما تقول: هل من رجل في الدار، فيكون الجواب: لا، أي: لا رجل في الدار[١٣٧].

٣- قرر علماء المعاني في مثل هذا الموضع تعيين العطف بالواو حتى لا يحصل اللبس كما يقال: هل شفي فلان من مرضه ؟ فيقال: لا، وشفاه الله. ولا يصح أن نقول: لا شفاه الله حتى لا يتوهم أنه دعاء عليه لا له،فلو كان الأمر كما يقولون، لقال سبحانه : لا وأقسم بيوم القيامة[١٣٨].

٤- قال تعالى:" لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة " فلو كان الأمر كما يقولون من أن " لا " جاءت لنفي كلام سابق، لم يكن ثمة داع لإعادة حرف النفي مرة أخرى ، في قوله تعالى: " ولا أقسم بالنفس اللوامة ".

ثالثا: إن أصل "لا أقسم": لأقسم: أشبعت فتحة اللام فظهرت الألف وأجاز الفراء [١٣٩] دخول لام الإبتداء على فعل القسم المضارع، مستدلا بقراءة الحسن[١٤٠] "لأقسم بيوم القيامة" وتابعه ابن جني، ولكنه قدّر حذف مبتدأ بعدها قال: (أي لأنا أقسم بيوم القيامة، وحذف المبتدأ للعلم به)[١٤١]، وخرجها الزمخشري على معنى (فلأنا أقسم)، اللام لام ابتداء، دخلت على جملة من مبتدأ وخبر، وهي: أنا أقسم. قال: ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين:

---

[١٣٧] - أبو حيان: البحر المحيط، ج٨ / ص ٢١٣.

[١٣٨] - ذكر الجاحظ القصة المشهورة عن أبي بكر ، قال: ومر رجل بأبي بكر - رضي الله تعالى عنه ومعه ثوب، فقال: أتبيع الثوب ؟ فقال: لا عافاك الله، فقال أبو بكر: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله. انظر: الجاحظ: البيان والتبيين: ج١/ ص٢٧٩.

[١٣٩] - الفراء: معاني القرآن، ج٣/ ص ٢٠٧.

[١٤٠] - ابن جني: المحتسب: ج١/ ص ٣٤١.

[١٤١] - ابن جني: المحتسب، ج٢/ ص ٣٤١.

أحدهما: إن حقها أن تُقْرَن بها النون المؤكدة، والإخلال بـه ضـعيف قبيح.

والثاني: إن لأفعلن في جواب القسم للاستقبال. وفعل القسم يجب أن يكون للحال). [١٤٢]

وقال العكبري: فيها وجهان:

أحدهما: هي لام التوكيد دخلت على الفعل المضارع كقوله تعالى: "وإن ربك ليحكم بينهم " [١٤٣]، وليست لام القسم.

والثاني: هي لام القسم، ولم تصحبها النون اعتمادا على المعنى، ولأن خبر الله صدق، فجاز أن يأتي من غير توكيد[١٤٤]. ونقول: نعم إن خبر الله صدق، ولكن لم نجد آية واحدة ذكرت فيها لام القسم متصلة بالفعل المضارع، دون أن تصحبها النون، وإذا أخذنا بالقول أن خبر الله صدق – وهو كذلك –، واعتمدنا عليه، فلا داعي للقسم أصلا، لكنه أقسم لحكمة يعلمها.

ومن خلال العرض الموجز السابق نصل إلى:

١- ليست اللام لام ابتداء، أشبعت فتحتها فتولدت عنها ألف، وليست زائدة كذلك.

٢- إن القسم المسبوق بالنفي، هو عبارة من عبارات القسم، وليست "لا " أداة نفي نافية للقسم كما ادعى البعض، إذ أنه مردود بتعيين المقسم به، كما في قوله تعالى: "فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون "[١٤٥]، وقوله تعالى:(فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم)[١٤٦] فقد صرح

---

[١٤٢] – الزمخشري:الكشاف، (تفسير سورة الواقعة) ج٤/ ص٥٨.

[١٤٣] – سورة النحل: آية /١٥٤.

[١٤٤] – العكبري: أبو البقاء عبد الله بن الحسين : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن على هامش الفتوحات الإلهية ج٤/ ص ٤٣٢.

[١٤٥] – سورة الحاقة: ٣٨، ٣٩.

[١٤٦] – سورة الواقعة: ٧٥، ٧٦، ٧٧.

هنا بالقسم، وليس بعد بيان الله بيان. كما أن تأكيد الأمر عن طريق النفي مألوف في لغة العرب، فإنك إذا قلت لصاحبك : (لأوصيك بفلان)، فإنما تريد تأكيد التوصية به، وتبالغ في الاهتمام به. فتبلغ بالنفي ما لا تبلغه بالأسلوب الصريح المباشر، وكذلك نفي القسم، استعمل في القسم من طريق آكد وأبلغ.[١٤٧]

ويمكننا أن نضيف إلى ما سبق عرضه بأن نقول: إن اللام لتوكيد القسم وزيدت الألف من باب زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فالألف فقط هي الزائدة دون اللام والمعنى

لأقسم.....، واللغة العربية لغة معبرة بأكثر من صورة فتارة تعبر بالحركات وتارة بالحروف وتارة بالإعراب وهكذا وهو مما تمتاز به اللغة العربية.

---

[١٤٧] – انظر الكشف والبيان د سمير شيلوة ص ٣٠٤- ٣١٦ بتصرف واختصار.

المبحث الرابع

القسم فى القرآن أغراضه وأهدافه

يقول ابن يعيش: "الغرض من القسم: توكيد ما يقسم عليه من نفي وإثبات". [١٤٨]

وقال ابن القيم: "والمقسم عليه: يراد بالقسم توكيده وتحقيقه". [١٤٩]

والقرآن نزل بلغة العرب، واستعمل معهم معهم نفس أساليبهم التى كانوا يستعملونها وكان من عاداة العرب إذا أرادوا أن يؤكدوا شيئا أن يأتوا بالقسم، وقلما نجد القسم مستعملا في اللغات الأخرى، كما استخدمته اللغة العربية.

وكثيرا ما يحتاج المتكلم إلى تأكيد خبر يسوقه، أو توثيق وعد يصدر منه، وبخاصة في الأمور العظيمة، وكان للتأكيد عند العرب صيغٌ مختلفة، وكان القسم أقواها تأكيدا وتحقيقا، لأنه يفيد الجزم والقطع، وقد بلغ من شأن القسم عندهم، أنهم كانوا يحترزون كل الاحتراز من الأيمان الكاذبة، ويعتقدون أنها شؤم على صاحبها، لما فيها من الغدر والخيانة، ومن أجل هذا كانت اليمين عندهم قاطعة في إثبات الحقوق.

فالغرض الأصلي من القسم تأكيد المقسم عليه، أما تقديس المقسم به، أو تشريفه، فغير مقصود أصالة، وإن أتى تبعا.

والقسم أنواع ثلاثة:

١- نوع يفيد التقديس.

٢- ونوع فيه تشريف وإعزاز للمقسم به.

٣ - ونوع ثالث هو المقصود بالبيان، يكون القسم فيه بالدليل، أو ما في حكمه، وهو القسم الاستدلالي.

---

[١٤٨] - ابن يعيش: موفق الدين يعيش بن علي: شرح المفصل ،ج٩/ ص ٩٠.

[١٤٩] - التبيان في أقسام القرآن ص ٢.

القسم التقديسي: – وهو إقسام الإنسان بمعبوده، وهو عند المسلمين: أن يقسم بالله أو بصفة من صفاته، فيقول: أقسم بالله، أو بعزته، أو بجلاله لأفعلن كذا، وهو أقوى أنواع القسم تأكيدا للمقسم عليه، وهو القسم الشرعي، الذي يأثم الإنسان على نقضه بعد تأكيده، كما يأثم إن صدر منه استهزاء. وقد سبق الإشارة إلى هذا من قبل.

القسم التشريفي: – يحس الإنسان في نفسه عزة ورفعة ، فيحمله هذا إذا أراد تأكيد كلام أن يقول: ورأسي، أو وحياتي، أو لعمري، لأفعلن كذا، وقد يريد إعزاز المخاطب وإكرامه فيقول: ورأسك، أو لعمرك ، فكل هذه الأقسام تفيد التأكيد، ومع أنها تشعر بتعظيم المقسم به ، إلا إلى أنها لا تصل إلى حد التقديس، وبالتالى فالقسم بها لا يخرج صاحبها من دائرة الإيمان بالله خاصة وأنه لم يرد التقديس لها، فهو لم يقصد إلا التشريف فقط، وإن كان بفعله قد جانب الصواب وما ينبغى أن يكون عليه القسم.

القسم الإستدلالي: والمقسم به فى هذه الصورة غير مقصود لذاته ولكنه إشارة إلى دليل يستدل به المقسِم على تقوية كلامه أو ما يريد، وهذا النوع مستخدم بهذا الغرض قديما ومن ذلك ما روى أن أحد العرب ويدعى "هجرسا" حين هم بقتل خاله "جساساً" قاتل أبيه ، قال:

"وفرسي وأذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه"[١٥٠]، ثم طعنه فقضى عليه، وهو لم يرد تقديس فرسه، وأذنيه ورمحه، ونصليه وسيفه، وغراريه، ولا تشريفها، وإن كانت عظيمة عنده ولكنه أراد أن يقول:

لا عذر لي في أن أترك قاتل أبي حيا أنظر إليه، وأنا قادر على الضرب والطعن والثأر ومن كان كذلك، لا يسوغ له أن يترك قاتل أبيه حيا

---

[١٥٠] – القصة كاملة في الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني ج٥/ ص٦١ .

وهو ينظر إليه، فأنا لا يسوغ لي أن أترك قاتل أبي حيا، وأنا أنظر إليه ، فوضع الدليل في صورة القسم التي تفيد تأكيد المحلوف عليه.

ومن ذلك أيضا ما قاله عروة بن مرة الهذلي: -

وقال أبو أمامة يالبكر ••• فقلت ومرخة دعوى كبير.

يستهزئ الشاعر بأبي أمامة على استغاثته بقبيلة بكر، فقال: هذه دعوى كبيرة -تهكما- أي: ما أصغر من يدعوهم لنصرته، فأقسم بشجرة صغيرة لا تؤوي من يلوذ بها.

فهو يريد : فقلت ومرخة دعوى صغير، على حد قولك للجبان: يا أسد. وكقوله تعالى: "ذق إنك أنت العزيز الكريم"[١٥١] أي : الذليل اللئيم.

والمرخة: شجرة ضئيلة الظل، لا تقي من استظل بها حر الشمس، ولذا تقول العرب لمن لجأ إلى ضعيف لا يحميه: لقد استظل بمرخة.[١٥٢]

فالتقديس والتشريف لا يلازمان المقسم به، بل قد يكون حقيرا، أو بغيضا ثقيلا، وقد يكون القسم للتذكير بالمقسم به، والتنبيه إليه، وقد يكون للاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه، أو لتشبيه المقسم عليه بالمقسم به.

وإلى هذا أشار الرازي عند تفسير قوله تعالى: "والذاريات ذروا. فالحاملات وقراً فالجاريات يسرا. فالمقسمات أمرا. إنما توعدون لصادق. وإن الدين لواقع " [١٥٣]إلى أن الأيمان الواقعة في القرآن، وإن وردت في صورة القسم، فالمقصود بها الاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه، وهو هنا صدق الوعد، والبعث، والجزاء، كأنه قيل: من قدر على هذه الأمور العجيبة المقسم بها، يقدر على إعادة من أنشأه أولا [١٥٤].

---

[١٥١] - سورة الدخان ٤٩.

[١٥٢] - إمعان في أقسام القرآن عبد الحميد الفراهي ص ٣٥.

[١٥٣] - سورة الذاريات ١-٦.

[١٥٤] - الفخر الرازي:التفسير الكبير ط٣، تفسير سورة الذاريات ص١٩٣-١٩٦.

وأكثر أقسام القرآن استدلالية، ويترجح هذا التقدير لأمور كثيرة منها:

١- أن حملها على الاستدلال هو اللائق بجلال الله وعظمته، لأنه لا يمكن حمل أي قسم من أقسام الله على أنه تقديس للمقسم به، وهي كما هو مقرر مسخرة طائعة لله، لا تملك لنفسها فضلا عن غيرها، نفعا ولا ضرا، فهذا التقديس يجوز فى حق البشر دون الخالق، إلا في حالة واحدة وهي: القسم بالله، فإنه تقديس لذاته تعالى فهو يقدس ذاتَه بذاتِه.

٢- أن القرآن يتصرف في أساليبه، فتارة يذكر الأمور الدالة على وجود الله ، ووحدانيته وقدرته، في أسلوب القسم بها، وتارة يسوقها مساق العظة والتوجية، وهي في الحالتين تفى بغرض ما سيقت له، والأمر يحتاج إلى تدبر، قال تعالى: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون"[١٥٥]، وفي آيات أخرى استدلال بالأرض والسماء والجبال والبحار، وغيرها، على طريق القسم بها، ولا شك أن توجيه القسم بها على أنه استدلالي للاحتجاج والاستشهاد، يحاكي ذكرها للعظة والتوجيه والاعتبار .

٣- إن المتدبر فى صور القسم فى القرآن يجد أن القرآن الكريم قد يذكر الآيات الدالة على قدرة الله وعظمته، ثم يقسم بالله سبحانه، كأنه قد مهد بذكرها لهذا القسم، لبيان المراد من الاستدلال بها، قال تعالى: "وفي الأرض آيات للموقنين* وفي أنفسكم أفلا تبصرون *وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون"[١٥٦].

ومعنى هذا: أن الآيات الواضحات في الأرض وما عليها، وفي النفوس وأحوالها وأسرارها، وفي السماء وما فيها، كلها أدلة على وجود الله وقدرته وعظمته، كما أنها دلائل على صدق النبوة، ولهذا عقب بالقسم بذاته العلية وهو مراد به التقديس.

---

[١٥٥] - سورة الذاريات: ٢١.

[١٥٦] - سورة الذاريات: ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣.

٤- ثم إذا رجعنا إلى الأقسام القرآنية وأجوبتها، وجدنا ملاءمة بينهما، وأدركنا أن المناسبة قوية بين القسم والمقسم به، وهذا يعزز أنها أقسام استدلالية، من ذلك مثلا قول الله تعالى: " والضحى *والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى "[١٥٧].

أقسم تعالى بآيتين عظيمتين من آياته وهما: الضحى، والليل إذا سجى، يقول السيوطي موضحا العلاقة بين هذا القسم وجوابه:" وتأمل مطابقة هذا القسم، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: ودع محمدا ربه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل، على ضوء الوحي ونوره، بعد ظلمة احتباسه واحتجابه".[١٥٨]

ومنه قوله تعالى: "والسماء ذات الحبك. إنكم لفي قول مختلف"[١٥٩] إذ نجد فيه تلاؤم جواب القسم (إنكم لفي قول مختلف) مع هذا الوصف الذي وصفت به السماء (ذات الحبك)، فالحبك: هي الطرائق، ولما كان هذا الوصف مشعرا بالتشعب والإختلاف جاء الجواب (إنكم لفي قول مختلف) قولهم في الرسول ﷺ ساحر، وشاعر، ومجنون وفي القرآن، شعر وسحر، وأساطير الأولين، وعن الضحاك: قول الكفرة: لا يكون مستويا، إنما هو متناقض مختلف].[١٦٠]

ويمكننا أن نجمل أغراض القسم في القرآن الكريم فيما يلي:

١- تأكيد الخبر وتقريره، وتلك عادة العرب الذين كانوا يقطعون كلامهم بالقسم، لأن القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده وهذا الغرض يظهر لنا إذا علمنا أن المقسم عليه كثيرا ما يكون من الأمور الخفية الغائبة، فيقسم عليها

---

[١٥٧] - سورة الضحى ١، ٢، ٣.

[١٥٨] - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج٤/ ص٥١.

[١٥٩] - سورة الذاريات ٧، ٨.

[١٦٠] - الزمخشري: الكشاف ج٤/ ص ١٤.

لإثباتها، مثل قوله تعالى: "لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة * أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه " فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويقيم الحجة ، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة [١٦١].

٢- لفت الأنظار إلى الكون وما يحويه من أسرار عجيبة، وما فيه من نظام بديع محكم إذ كل يجري إلى أجل مسمى، وكل في فلك يسبحون، فجاء القسم في القرآن الكريم على هذه الأمور لأجل ذلك.

٣- إثبات صدق الرسول ﷺ إذ العرب كانت تعتقد أن الأيمان الكاذبة تضر صاحبها. وقد كان إكثار النبي -صلى الله عليه وسلم- من الحلف بأمر الله تعالى مثل قوله تعالى: (ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين)[١٦٢]. وقوله تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم). [١٦٣]

ومع قسمه ﷺ لم يصب بسوء ما، بل ارتفع شأنه وعلا ذكره ﷺ، فكان عدم إصابته بمكروه وهو بين ظهرانيهم دليلا على صدقه.[١٦٤].

٤- تصحيح العقائد الباطلة، فالقسم بالنجم إذا هوى، وبالكواكب، وبالشمس، والقمر، فيه رد على من اعتقد أنها آلهة، وأن لها تصرفا في العالم السفلي.

٥- لفت الأنظار إلى أحداث بارزة، كان لها أكبر الأثر في تاريخ البشر، وذلك الغرض يظهر في القسم بالأمكنة مثل (الطور)، فالقسم به فيه إشارة إلى ماكان عند ذلك الجبل من الآيات التي ظهرت لموسى -عليه السلام-، والقسم بالبلد

---

[١٦١] - مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص ٢٩١.

[١٦٢] - سورة يونس: ٥٣.

[١٦٣] - سورة سبأ: ٣.

[١٦٤] - انظر: د. عبد الجليل عبد الرحيم: لغة القرآن الكريم، ص ٢٦٧.

الأمين (وهذا البلد الأمين) فيه إشارة إلى كون محمد ﷺ من هذا البلد الأمين، مكة المكرمة، إلى آخر ما هنالك من أهداف وأغراض.[١٦٥]

القسم والشرط:

قد يجتمع القسم والشرط فيدخل كل منهما على الآخر فيكون الجواب للمتقدم منهما قَسَما كان أو شرطا وعندئذ يغنى جواب احدهما عن الآخر وأيهما تصدر كان الاعتماد عليه والجواب له، ومِن تَقدُم القسم قولُه تعالى:"لم تنته لأرجمنك" تقديره: والله لئن لم تنته فاللام الداخلة على الشرط ليس بلام القسم، ولكنها زائدة وتسمى الموطئة للقسم ويعنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم منتظر فالشرط لا يصلح أن يكون جوابا لأن الجواب لا يكون إلا خبرا، والذى يدل على أن الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه وأنه ليس بمجزوم بدليل قوله تعالى:" لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله" ولو كان" لا يأتون بمثله" جوابا الشرط لكان مجزوما.....[١٦٦]

---

[١٦٥] – انظر: د. عبد الجليل عبد الرحيم : لغة القرآن الكريم، ص ٢٦٨. و أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، ص ١٧٠-١٧٣.

[١٦٦]– راجع البرهان للزركشى ٣/ ٤٦.

المبحث الخامس

بلاغة القسم القرآني

بعد هذا العرض الموجز، والتطوافة السريعة حول القسم، يجدر بنا أن نتعرف على ما في أسلوب القسم من وجوه البلاغة، لتكتمل الفكرة.

١- يمتاز أسلوب القسم بإيجازه، ولهذا يهجم على السامع،فيأخذ مشاعره، ويملك لبه ولعل العرب أدركوا هذا المعنى فأكثروا منه لوجازته، وهم إلى الإيجاز أميل في شعرهم ونثرهم، ومن هنا راجت الأمثال بينهم وشاعت، وذاعت الحِكَمْ فيما بعد العصر الجاهلي.

٢- القسم ضرب من الأسلوب الإنشائي، لا مناص للخصم من الإقرار به، ولا وجه له في إنكاره، فإن شاء أن ينكر، انصب إنكاره على جواب القسم، لا على القسم نفسه، لأن الجواب خبر[١٦٧] لا إنشاء[١٦٨].

وقد يجمع القرآن الكريم بين القسم والوصف، كالقسم بالقرآن المجيد واليوم الموعود، والصافات صفا، ففي هذا وأشباهه قسم ، ووصف للمقسم به، ليكون الاستدلال أعظم في النفس وأوقع.

٣- قد يحذف جواب القسم في القرآن، وهو المقسم عليه، فينتقل بعد القسم إلى كلام آخر، لكنه مرتبط بالجواب المحذوف. والسر في هذا أنه يسد على المخاطب المنكر طريق الفرار، فلا ينتقل من القسم وهو إنشاء، إلى الجواب وهو خبر، لئلا يجاري المنكر في الجواب، ثم ليكون القسم كالتمهيد والتنبيه ، فيسترعي سمع المخاطب، فيرهف أذنيه ليستمع ما بعد القسم، فإذا به يسمع ما

---

[١٦٧] - الخبر: هو ما احتمل الصدق والكذب لذاته، أي: لذات الخبر نفسه. وهذا بالطبع يخرج ما كان صادقا قطعا، وما كان كاذبا قطعا. انظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، مبحث الخبر، ص٩٩ وما بعدها.

[١٦٨] - الإنشاء: ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا. وهو قسمان: طلبي، وغير طلبي. مبحث الإنشاء، ص١٤٧ وما بعدها.

يؤيد الاستدلال المقصود من القسم نفسه، كقوله تعالى: (ص * والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق)[١٦٩]، فأقسم بحرف من حروف الهجاء التي يتكون منها القرآن، على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز، وأتبعه بالقسم بالقرآن، وحذف الجواب لدلالة التحدي عليه، كأنه قال: والقرآن ذي الذكر إنه كلام معجز، ولكن الكفار استكبروا ولم يذعنوا إليه، فعارضوا الرسول وكذبوه.

أو كأنه قال: أقسم بالقرآن ذي الشرف العظيم، إنك لصادق فيما تبلغ عن ربك، ولكن الكفار استكبروا ولم يذعنوا للحق، وأصروا على العناد. أو أقسم بالقرآن أن الأمر ليس كما يزعم هؤلاء الكفار، بل هم في استكبار ومخالفة، وعداوة لمحمد.

٤- إن من مزايا القسم أنه يسهل الجمع بين عدة أدلة في جملة واحدة، أو في جمل متلاحقة، كما في سور: التين، والبلد، والطور، والشمس، والليل، والفجر، مع الإيجاز، ولو أن الأدلة فصلت وبسط فيها القول، لفقد الكلام روعته وتأثيره.

٥- يشرك القسم الاستدلالي السامع في استنباط الدليل، ويخفف من عناده وخصومته فيشعر أنه تعرف وتأمل، ولهذا كانت الأساليب الإنشائية تسترعي السامع أكثر من الأساليب الخبرية.

٦- ومن ضروب بلاغة القسم أنه تقديم لتوثيق الصدق قبل ذكر الدعوى، لأنه يقرع أذني المخاطب، فيصغي ويترقب ما بعده، ثم تجيء الدعوى فيسهل قياده لها، ولكنه إذا فوجئ بالدعوى التي ينكرها، انصرف عنها ونفر منها. وشتان ما بين قولك: (ما أنت بنعمة ربك بمجنون. أقسم بالقلم وما يسطرون)، وقوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون).[١٧٠]

---

[١٦٩] - سورة ص ١، ٢.

[١٧٠] - سورة القلم: ١، ٢.

فسبحان من نفى عن رسوله ﷺ التهمة قبل حكايتها.

محاسن القسم وما يدخله من ألوان البديع:

معلوم أن القرآن الكريم فى جميع أساليبه مرجعا للبلاغة منه تستقى دروبها، والقسم من حيث كونه أسلوبا من أساليب القرآن الكريم يراد به التوكيد، فهو لا يخلو أبدا من ألوان البديع، كيف لا وهو وجه من وجوه إعجازه.

ولنأخذ على هذا بعض الأمثلة:

أ- القسم الوارد فى القرآن فيه لون من ألوان البديع فى البلاغة وهو "التماثل" أى التماثل فى الألفاظ وزنا مع اختلاف المعنى، وذلك دون أن يشعر القارئ بأدنى نوع من التكلف، مع شدة حرصه على المعنى فلا يفسد، وذلك كقوله تعالى:" وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)".[١٧١]

فنلاحظ أن الكلمات " الطارق، الثاقب، حافظ " هى كلمات متماثلة فى اللفظ أى الوزن مع اختلافها فى المعنى، وهذا لا شك لون من ألوان البديع حسُن توظيف القرآن الكريم له فأضفى على أسلوب القسم رونقا وجمالا فازداد حسنا وجمالا إلى حسنه وجماله.

ب- الالتزام بحرف أو أكثر قبل نهاية الكلمة دون تكلف ودون أن يؤثر هذا الالتزام على المعنى المراد بلاغه، وهو ما يسميه العلماء السجع، لكن السجع عند العرب كثيرا ما كان يجور على المعنى لحساب اللفظ، ولكن القرآن الكريم عندما استخدم هذا الأسلوب فقد راعى اللفظ دون الإخلال بالمعنى المراد، وأمثلة هذا النوع فى القرآن الكريم كثيرة جدا ومنها على سبيل المثال قوله

---

[١٧١] - سورة الطارق ١-٤.

تعالى:" وَالطُّورِ (١) وكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ(٤)".[١٧٢]

فنلاحظ التزام حرفى الواو والراء فى نهايه الآيات الأربع دون تكلف أو استهجان، وبعيدا عن السجع الممقوت والذى تمجه الآذان والأفهام.

ج- الإلتفات لون من ألوان البديع وقد راعاه القرآن الكريم فى مجال القسم ففى قوله تعالى:" إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)"[١٧٣] وهى جواب لقسم تقدم فى أول السورة " والعاديات ضبحا....." فقد التفت القرآن الكريم من الحديث عن الإنسان، إلى الحديث عن الذات العليه وهو الله تعالى بقوله " وإنه على ذلك لشهيد " ثم انصرف من الإخبار عن الله تعالى إلى الإخبار عن الإنسان مرة أخرى فى قوله تعالى "وإنه لحب الخير لشديد" وهذا نوع حسن من الالتفات قلَّ نظيره.[١٧٤]

وهكذا رأينا انفراد القرآن الكريم بهذا الأسلوب البديع والذى استحوذ على دروب البلاغة، وتربع على عرشها، وذلك لأنه تنزيل من حكيم حميد.

والبحث عن محاسن القسم فى القرآن الكريم واشتماله على ألوان البديع ودروب البلاغة، أمر لا ينقطع ولا يخلّق أبدا ، ولكننا نكتفى هنا بالبعض ففيه الكفاية عن الكل إن شاء الله تعالى.

---

[١٧٢] - سورة الطور ١-٤ .

[١٧٣]- سورة العاديات .

[١٧٤]- انظر بديع القرآن لابن أبى الأصبع ص ٤٥ .

الخاتمـــــة

لقد تمخضت هذه الدراسة الموجزة وجاء فصيلها مفصحا عـن عـدة نتائج من خلال هذا الموضوع القرآنى، ويمكن عرض هذه النتائج بشكل موجز من خلال عدة نقاط كالتالى:

١-أكدت الدراسة أن القرآن الكريم استعمل القسم جريا على عادة العرب فـي توكيد الأخبار، لترسخها في النفس، وإن كان التصديق ليس نتيجة حتميـة لكل قسم، ولكنه كثيرا ما يوهن في النفس الفكرة المخالفة، ويدفع المرء إلى إعادة النظر فى الأمر من جديد.

٢ – أوضحت الدراسة أن الله أقسم بجميع مخلوقاته: ما نبصره وما لا نبصره. على وجوده ووحدانيته، وقدرته ، ووقوع البعث، وصدقِ النبي ﷺ، ولينبهنا على ما فيها من روعة، تدفع إلى التفكير في خالقها، فهو اسـتدلال علـى الخالق بالمخلوق.

٣-أكدت الدراسة أن القسم بالله تعالى مقصود به التقديس، لأنه الخالق الـذي يستوجب التقديس، وما عدا ذلك فالتقديس والتشريف غير لازمين للقسـم، وإن كان المقسم به عظيما في ذاته، وعظيما عند خالقه، وعليه فلله تعالى أن يقسم بما شاء على ما شاء، وليس لأحد من خلقـه أن يقسـم إلا بـالله تعالى، إذ لا ينبغى التقديس إلا له سبحانه، اللهم إلا إذا صدر القسم بغير الله لا على نية التقديس والتعظيم فلا إثم ولكن يبقى أنه مخالفة للأَوْلَى، وتركٌ لما ينبغى أن يكون عليه القسم.

٤- القرآن الكريم قد يستعمل أسلوب القسم بغير مقسم به كما جـرت بـذلك عادة العرب، نحو قوله تعالى: (أخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم

لأملأن جهنم منكم أجمعين) [١٧٥]، ونحو قوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)[١٧٦].

٥ – الغالب فى القسم القرآن أن يكون بالواو، وأن يصدر عن الله، فيقسم الله سبحانه بما شاء ليقرر ما شاء.

٦ _ في إيراد الدليل بصورة القسم، إيجاز في إيضاح، أو إن صح التعبير "إيضاح في إيجاز"، مع الحرص على تفاعل السامع، وتوجيه عقله بصورة هادفة.

٧– تقدم حرف النفى على القسم فى القرآن الكريم ما زال مجالا خصبا للبحث والتنقيب عن إعجاز القرآن الكريم فيه، وإن كَثُر فيه توجيه العلماء واختلافهم فى ذلك، إلا أنهم متفقين على أن النفى ليس مقصودا لذاته، وإلا لتعارض هذا مع بلاغة القرآن القرآن الكريم فى عرض مراماه وأهدافه.

٨– القسم فى القرآن الكريم يكمن فيه ألوان من البديع والبيان ما يجعله ليس مجرد قسم كما استخدمته العرب وحسب، ولكنه درب من دروب الإعجاز.والبديع فيه غالبا ما يكون بديعا مركبا فيجمع بين توظيف القسم وبين روعة الأسلوب كأن يراعى الفاصلة دون المساس بالمعنى، وهو ما يسمى – على حذر – " السجع " كما فى سورة الطور وغيرها.

٩– فى حذف جواب القسم إعمال للعقل وإفساح مجال التدبر أمامه، حتى يجول بخاطره ويسبح فى احتمالات المحذوف حسبما يؤهله لذلك حاله ومقامه.

١٠ – أكدت الدراسة أن مكنون القرآن الكريم وجواهره، ما زال معه منها الكثير والكثير والتى تحتاج إلى التنقيب والبحث، شريطة الاستعداد لذلك الخوض بالعُدة التى تبلغ المراد إن شاء الله تعالى.

---

[١٧٥] – سورة الأعراف: ١٨.

[١٧٦] – سورة المجادلة: ٢١.

المصـــــادر

١- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبـو الفضـل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود بن محمد العمادي، ط٢ دار الفكر، بيروت.

٣- أساس البلاغة: جار الله محمود الزمخشري، كتـاب الشـعب، دار مطـابع الشعب مصر، ١٩٦٠م.

٤- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: الحسين بن أحمد المعـروف بـابن خالويه، المكتبة الثقافية، بيروت.

٥- أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسـني العلـوي، تحقيق ودراسة: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٦- إمعان في أقسام القرآن: عبد الحميد الفراهي، المطبعـة السـلفية، القـاهرة، ١٣٤٩هـ.

٧- إملاء ما من به الرحمن في وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبـري، علـى هـامش (الفتوحـات الإلهية)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨-أنوارالتنزيل وأسرار التأويل: القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، بهامش حاشية الشهاب الخفاجي، دار صادر، بيروت.

٩-أيام العرب في الجاهلية:محمد أحمد جاد المولى وزملاؤه المكتبة العصـرية، صيدا بيروت.

١٠-البحر المحيط: محمد بن يوسف بن حيان الغرنـاطي الأندلسـي، مطبعـة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ.

١١- البلاغة فنونها وأفنانها: أ.د. فضل حسن عباس، ط٢، دار الفرقان، عمان.

١٢- البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، تحقيق حسن السندوبي المكتبة التجارية الكبرى، ط٢، ١٩٣٢م.

١٣-التبيان في أقسام القرآن: شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية تصحيح محمد حامد الفقي، ط١، مطبعة حجازي بالقاهرة، سنة ١٩٣٣م.

١٤-التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت.

التفسير البياني للقرآن الكريم: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ج١، ط٧، دار المعارف، القاهرة.

١٥-التفسير الكبير: (مفاتيح الغيب): محمد فخر الدين الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٦-التفسير الوسيط للقرآن الكريم: أ د. محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٤٠٦ هـ١٩٨٥م.

١٧-الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨-حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.

١٩- ديوان ابن قيس الرقيات، ط، دار بيروت للطباعة والنشر.

٢٠-ديوان امرئ القيس: صنعه حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية بمصر، سنة ١٩٣٠م.

٢١-ديوان لبيد بن ربيعة العامري: دار صادر، بيروت.

٢٢-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي دار الفكر، بيروت.

٢٣-شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، إدارة الطباعة المنيرية.

٢٤-صحيح مسلم بشرح الإمام النووي: مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
٢٥-الفتوحات الإلهية، بتوضيح تفسير الحلالين: سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
٢٦-القاموس المحيط: مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر.
٢٧-الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت.
٢٨-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود الزمخشري، ط١، دار الفكر، بيروت.
٢٩-الكشف والبيان في علوم القرآن، د. سمير عبد العزيز شيلوة، مطبعة دار البيان بمصر.
٣٠-لسان العرب: لابن منظور، عني بتصحيحها أمين محمد عبدالوهاب ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣١-لغة القرآن الكريم: د. عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط١، ١٩٨١م .
٣٢-مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٣-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني، (الجزءالأول) تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ، و(الجزء الثاني): تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، سنة ١٣٨٩هـ.
٣٤-مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، عني بترتيبه محمود خاطر بك، المطبعة الأميرية، بالقاهرة، سنة ١٤٣٠هـ - ١٩٢٢م.
٣٥-المسند: عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب، بيروت.

٣٦-معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء: تحقيق أحمد يوسف نجاتي، وزميله، ط عالم الكتب، ببيروت ط٢، سنة ١٩٨٠ م.
٣٧-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك وآخرون، ط٦، دار الفكر، بيروت.
٣٨- من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ١٧٠.